التحقيق في نبوة

عيسى عليه السلام

وحقيقة رفعه وظهور المسيح الدجال

الدكتور
"محمد رامز" عبد الفتاح العزيزي

3

الطبعة الأولى
1437هـ- 2016م

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الأيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
2016م

العزيزي،"محمد رامز"
التحقيق في نبوة عيسى عليه السلام وحقيقة رفعه وظهور المسيح الدجال/ "محمد رامز" عبدالفتاح العزيزي._ عمـــان: دار السواقي العلمية للنشر،عمان، 2016.

( ) ص.

ر.ا.:

الواصفات: / الأديان //عيسى عليه السلام//

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية

المملكة الأردنية الهاشمية
عمان - العبدلي - عمارة غطاس سنتر - ط2
خلوي: 00962 79 529 4400
E-mail: dar.alswaqe.publishers@gmail.com

دار السواقي العلمية

جميع الحقوق محفوظة، لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مسبق من المؤلف .

All rights reserved . No part of this book may be reproduced , stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[1]

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[2]

قَالَ تَعَالَىٰ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى

[1] سورة آل عمران آية 64
[2] سورة آل عمران آية 59

بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى
وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ
ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾
مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى
وَرَبَّكُمْۚ
ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْۖ
فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْۚ وَأَنتَ عَلَىٰ
كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ [1]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ
مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا
بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾
﴾ [2]

[1] سورة المائدة آية 116-117
[2] سورة المؤمنون آية 91

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة:

من أركان الأيمان في الإسلام أن يؤمن المسلم بأن الله سبحانه وتعالى أرسل رسلا وأنبياء لا يعلم عددهم وأسماؤهم إلا الله تعالى الذي أرسلهم، قال سبحانه:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ ﴿٧٨﴾ ﴾ [1]، وقال: ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ [2]، وقال: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ ۖ ﴿٤٧﴾ ﴾ [3]، والمذكورون في القرآن من الأنبياء والرسل خمسة وعشرون، ثمانية عشر منهم ذكرهم الله في سورة الأنعام، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [4]، وورد ذكر السبعة الباقية في آيات متفرقة من

---

(1) سورة غافر (آية78).
(2) سورة فاطر (24).
(3) سورة يونس (47).
(4) سورة الأنعام (83-86).

القرآن؛ وهم هود وصالح وشعيب، وهؤلاء الثلاثة من العرب، أرسل كل واحد منهم إلى قبيلته، فقد ارسل هود إلى قبيلته عاد، وارسل صالح إلى قبيلته ثمود، وشعيب أرسل إلى أهل مدين، والأربعة الباقية هم إدريس، وذا الكفل، وآدم الذي هو أولهم ومحمد ﷺ هو خاتمهم وأخرهم.

فهؤلاء الأنبياء والرسل يجب الإيمان برسالتهم وبنبوتهم، وهم بشر وأناس يتفقون مع سائر الناس في أخص أوصاف البشرية، وبه تيسير التلقي عنهم وتقليدهم فيما يقولون ويفعلون فهم مبلغون عن الله، معصومون من الخطأ فيما يبلغون، وعن ارتكاب الكبائر كالزنا، وقتل النفس عمداً بغير حق، ولذلك كانوا أسوة لأقوامهم في أقوالهم، وأفعالهم، وأخلاقهم، قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[1].

وسئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: (كان خلقه القرآن) فقرأت: (قد افلح المؤمنون)، حتى انتهت الى: (والذين هم على صلواتهم يحافظون)، قالت: هكذا كان خلق رسول الله ﷺ، -رواه النسائي-.

وقال تعالى في وجوب الإيمان بجميع الأنبياء والرسل :

(1) سورة الأحزاب (21).

﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾وقال تعالى: ﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾[1].

ومن كفر بالرسل والانبياء الذين ذكرهم الله في كتابة أو بأحدهم وهو يزعم انه يؤمن بالله فهـــو عند الله كافر، لا ينفعه إيمانه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ﴿١٥١﴾ ﴾[2].

فقد نصت الآية على ان التفريق بين الله ورسله، والإيمان ببعضهم والكفر ببعض، هو كفر بالله.

ووظيفة هؤلاء الرسل هي التبليغ، وتبيين ما انزل إليهم قولا وعملا، حيث يكونون النموذج لرسالتهم.

([1]) سورة آل عمران (84).

([2]) سورة النساء (150-151).

قال تعالى عن حقيقة هؤلاء الرسل ووظيفتهم: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٤٣ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1].

فقد ذكر الله في هذه الآيات أن جميع الأنبياء والرسل هم رجال من البشر، يوحي الله إليهم بما يريد تبليغه لأممهم، وقد أرسل هؤلاء الرسل بالمعجزات والدلائل البينة لصدقهم، وانزل عليهم الكتب تبين شريعته التي شرعها لأممهم، وانزل على رسوله محمد ﷺ القرآن ليبين للناس ما اشتمل عليه من العقائد، والأحكام، والأخلاق، ودعاهم إلى التفكر فيه، رجاء أن يتدبروا فيتعظوا ويستقيم أمرهم.

كما قال في آية أخرى للتأكيد على بشريتهم: ﴿ وَمَا جَعَلۡنَٰهُمۡ جَسَدٗا لَّا يَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ٨ ﴾ [2]، أي أن الله سبحانه ما جعلهم أجسادا تخالف أجساد البشر، يعيشون دون طعام أو شراب كالملائكة، وما كانوا باقين خالدين، أي أن جميع أنبياء الله كانوا بشرا يأكلون ويشربون، وتخرج منهم فضلات الطعام رغم أنوفهم، وجميعهم قد ماتوا بعد انتهاء أجلهم، سواء ذلك بالنسبة لآدم أو نوح أو إبراهيم أو موسى

(1) سورة النحل (43-44).
(2) سورة الأنبياء (8).

أو عيسى عليهم السلام، أو غيرهم من الانبياء والرسل فليس أحد منهم خالد إلى الآن.

فهم قد أرسلهم الله لتبليغ رسالات ربهم إلى من ارسلوا اليهم، وتبشيرهم برضوان الله وثوابه وجنته أن آمنوا به وبرسله وأطاعوهم، وإنذارهم من غضبه وعقابه إن كفروا وعصوا، قال تعالى: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾[1].

وقد بعث الله سبحانه جميع الأنبياء والرسل؛ لتحقيق غرض أساسي واحد، وهو عبادة الله وحدة عز وجل بإقامة دينه وتوحيده، وذلك بأن يعتقد الإنسان بأن الله سبحانه وحده هو الخالق للسماوات والأرض وما فيهن، والمتصرف فيهن، وهو المحيي والمميت، ومجيب دعاء الناس ومعطيهم ومانعهم، وله الأمر كله كما قال سبحانه عن نفسه : ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾[2]، وانه وحده يجب أن يتوجه له بالعبادة والطاعة والانقياد لأمره.

وانه متصف بجميع صفات الكمال، ومتنزه عن جميع صفات النقص، ولا يشبهه أحد من خلقه، قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ

---

(1) سورة الأنعام (48-49).
(2) الأعراف (54).

﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [1]، وقال: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤﴾ [2].

ومن البديهيات عقلا، وما يدرك بالفطرة؛ بأن خالق الأشياء لا تماثله هذه الأشياء التي هي من خلقه.

إلا أن معظم اليهود والنصارى ضلوا في فهم هذه الحقيقة، فشبهوا الخالق بالإنسان، كما ضلوا في فهم حقيقة الأنبياء والرسل.

ومن أمثلة ضلالهم في فهم حقيقة الله سبحانه، ومما لا يليق بجلاله وكماله:

1- ما جاء في سفر التكوين في الإصحاح الثامن عشر من التوراة، التي تعتبر من الكتاب المقدس عند اليهود والنصارى، بالنسبة لهلاك قوم لوط، أن الله وملكين معه ظهروا لإبراهيم في صورة رجال ثلاثة، فحف لاستقبالهم، ودعاهم ليستريحوا عنده، ويغسلوا أرجلهم ويطعموا، فأجابوه، فأسرع إلى خيمته وقال لسارة: أسرعي بثلاث كيلات دقيقا سميداً، اعجني واصنعي خبز ملة، ثم ركض إبراهيم إلى البقر، وأخذ عجلاً رخصاً، وأعطاه لغلامه ليجهزه لهم، ثم أخذ زبداً ولبنا والعجل الذي أعده، ووضعه أمامهم، فأكلوا وهم جلوس تحت الشجرة، ثم اخذ

(1) سورة الشورى (11).
(2) سورة الإخلاص.

الرب يكلم إبراهيم في أمر سارة، وهلاك قوم لوط، ولما فرغ من كلامه معه، ذهب الرب ورجع إبراهيم إلى مكانه ... الخ.

والقرآن الكريم حينما عرض لقصة هلاك قوم لوط، يصرح بأن الذين وفدوا على إبراهيم ليسوا الا ملائكة مرسلين من قبل الله عز وجل، جاءوا في صورة آدميين، فلم يفطن لكونهم ملائكة، فقدم لهم طعاما وعجلا حنيذاً، أي عجلا سمينا مشويا ليأكلوا منه، فلما رأى أيديهم لا تمتد إلى الطعام كما هو معروف عن الضيوف، وأحس انهم ملائكة، وخاف أن يكون مجيئهم لأمر أنكره الله عليه، أو لتعذيب قومه، قالوا وقد عرفوا اثر الخوف في نفسه: لا تخف إنا أرسلنا لهلاك قوم لوط، وكانت امرأته قائمة تسمع كلامهم في مكان قريب منهم، فضحكت لسرورها لنجاة لوط ابن آخي زوجها، فبشروها بأنها ستلد من إبراهيم زوجها ولد يسمى إسحاق، وسيكون لها منه ابن اسمه يعقوب.

جاءت هذه القصة في القرآن الكريم نقية من هذا الهراء الذي ورد في التوراة، حيث يقول الله: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ ﴾[1].

(1) سورة هود (69-71).

2- ما جاء في الإصحاح الثاني عشر من سفر التكوين من أن الله فرغ من خلق الدنيا فاستراح في اليوم السابع، وبارك ذلك اليوم وقدسه؛ لأنه استراح فيه من جميع عمله.

والقرآن الكريم ينفي التعب عن الله في صراحة ووضوح، وذلك حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ ﴾[1]، أي خلقنا السماوات والأرض وما بينهما من خلائق في ستة أيام من أيامه سبحانه وما أصابه أي تعب أو مشقة.

ومن يقرأ التوراة في تدبر وتفكير يجد الكثير مما لا يليق بجلاله وكماله سبحانه، كما يجد الكثير من الأباطيل والخرافات التي لا يقبلها العقل السليم وما فيها من تناقص.

ومن الأمثلة مما جاء من مناكير في التوراة مما يقدح في الأنبياء وينفي عنهم العصمة من الكبائر ما يلي:

1- ما جاء في الإصحاح الثامن عشر من سفر التكوين، من أن ابنتي لوط سقتا أبيهما خمرا، فزنى بهما وحملتا منه، وولدت كل منهما ولدا، وابن الكبيرة أبو الموآبيين وابن الصغيرة أبو بني عمون؟؟.

(1) سورة ق (38).

والقرآن الكريم يصرح بان لوطا عليه السلام أنكر على قومه الفاحشة في أي لون من ألوانها وذلك بقوله تعالى: ﴿ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ ﴾[1].

أقول: كيف يتصور عاقل من نبي من أنبياء الله بعثة الله لهداية الناس، وليكون قدوة لهم، أن يقع في الفاحشة في أقبح صورها وحالاتها، حيث يزني بابنتيه، وتأتى كل واحدة منهما بولد يكون كل واحد منهما أب لقبيلة أو بلد ينتسب إليها خلق كثير.

2- ما جاء في سفر صموئيل الثاني الإصحاح الحادي عشر: فقد جاء فيه أن داود عليه السلام ذات مساء قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك، فرأى من على السطح امرأة تستحم -وكانت المرأة جميلة المنظر جداً- فأرسل داود وسأل عن المرأة، فاخبر أنها زوجة أوريا، فأرسل داود من أحضرها إليه، فاضطجع معها فحملت منه وأخبرته بذلك، وأراد أن يتخلص من أوريا حتى تخلص له زوجته، فكتب إلى بواب أن يجعل أوريا في وجه الحرب الشديدة، وان يرجعوا من ورائه حتى يضرب ويموت،.....الخ.

وما كان لداود عليه السلام ولا لأي من نبي أن يسقط إلى هذا الحد في مسالة الشهوة والرذيلة، فيزني بامرأة غيره، ويحتال على قتله؟؟

([1]) سورة الشعراء (165-166).

أنها لفريه بلقاء مفضوحة ضد نبي من أنبياء الله يفتريها بنوا إسرائيل على نبي من أنبيائهم؟؟

والعجب أنها في كتاب يزعم انه مقدس، وينسب إلى الله سبحانه، ويؤمن به مئات الملايين من الناس من النصارى واليهود!!!

3- ما جاء في الإصحاح الثاني والثلاثين من سفر الخروج من أن هارون عليه السلام هو الذي صنع العجل لبني إسرائيل، ودعاهم إلى عبادته؟

والقرآن الكريم يصرح بان الذي صنع العجل هو السامري، وان هارون عليه السلام أنكر ذلك وحذرهم أن يفتـــنوا به، قال الله سبحانه موضحا ذلك: ﴿ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا وَلَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدۡ قَالَ لَهُمۡ هَٰرُونُ مِن قَبۡلُ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي ﴿٩٠﴾ ﴾ [1].

(1) سورة طه (83-90).

هذه بعض المخازي والقبائح والكبائر التي نسبتها اليهود إلى أنبياء الله الأطهار والتي صرح القرآن بعدم صحتها وبراءة ما نسب إلى بعضهم منها.

والسبب في نسبته هذه القبائح المنكرة إلى بعض أنبياء الله؛ هو ليسهل عليهم تبرير ذنوبهم ومعايبهم ومخازيهم، عندما ينكر عليهم منكراً ويعترض عليهم معترض.

ومثلما ضل اليهود في فهم حقيقة الخالقَ وحقيقة الأنبياء والرسل الذين اختارهم الله من البشر لهداية الناس إلى معرفته وعبادته وحده لا شريك له ضل النصارى في ذلك فادعت طائفة منهم بان الله هو المسيح بن مريم، وادعت طائفة ثانية بان الله ثالث ثلاثة وان المسيح ابن الله، وادعت طائفة ثالثة بان المسيح وأمه الهين من دون الله.

وبذلك خرجوا عن رسالة المسيح عليه السلام وكفروا بالله الخالق، وقد ذكر الله ضلالهم هذا وبين لهم حقيقة المسيح عليه السلام وأمه في كثير من الآيات القرآنية، وخاصة في سورة آل عمران، والنساء، والمائدة، وسورة مريم.

قال الله تعالى في سورة المائدة: ﴿ **لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي**

وَرَبَّكُمْۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾ [1].

أي لقد كفر الذين زعموا باطلا أن الله هو المسيح ابن مريمَ والمسيح براء من هذه الدعوى، وانه عليه السلام أمر بني إسرائيل الذين أرسل إليهم أن اعبدوا الله وحده الذي هو خالقه وخالقهم، وان كل من يدعي بان لله شريك فان جزاءه أن لا يدخل الجنة أبدا، وان يكون النار مصيره؛ لأنه يتعدى حدود الله ويظلم، وليس لمن يظلم ناصر يوم القيامة.

وقال مبينا كفر من قال بان الله ثالث ثلاثة: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ [2]، أي من يدعي بان الله أحد آلهة ثلاثة كما يزعم بعض النصارى قد كفر بالله، والحق انه ليس هناك اله إلا الله وحده وإذا لم يرجع هؤلاء الضالون عن معتقداتهم الباطلة وقولهم بان الله هو المسيح بن مريم أو وان الله أحد آلهة ثلاثة ويعبدوا الله وحده، فسوف يصيب هؤلاء عذاب شديد ومؤلم، وطلب منهم بعد ذلك التوبة والاستغفار عن هذه الدعاوي الباطلة، وعبادتهم لغير الله، ويبين لهم أن الله سبحانه واسع الرحمة لمن تاب، عظيم المغفرة، كما بين لهم حقيقة المسيح وأمه الذين هم مختلفون فيه، فقال: ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ

---

(1) سورة المائدة (72).
(2) سورة المائدة (73).

وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْآيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ ﴾ [1]، أي ليس عيسى بن مريم إلا عبدا من البشر انعم الله عليه بالرسالة، كما انعم على كثير ممن سبقه من الرسل، وأم عيسى إحدى النساء من البشر كانت صادقة مع الله، ومصدقة لأوامر الله مطيعة له، وكان عيسى ومريم يأكلان الطعام لحاجتهما إليه؛ ليحفظ عليهما حياتهما كغيرهما من البشر، حيث يأكلون ويشربون لكي يعيشوا، وتخرج منهما كغيرهما فضلات الطعام من أوساخ وقاذورات رغم أنفهما، وذلك من أهم علامة البشرية وانهما ليسا بآلهة.

وان من يتأمل هذه الآيات ويتدبر عند قراءتها أو سماعها يعرف بان الله واحد لا شريك له، وان عيسى عبد الله ورسوله، وان أمه مؤمنة صادقة مع الله، ولكنهم مع ذلك ينصرفون عن هذه الحقيقة ولا يؤمنون بها.

وقد استدلت هذه الطوائف الثلاث من النصارى على ألوهية المسيح بادلة اربعة:

---

(1) سورة المائدة (74-76).

أولاً: بأنه خلق من أم دون أب، ولم يخلق إنسان من أم دون أب إلا عيسى فدل ذلك على أنه إلـه.

الجواب: إذا استبعدتم خلق عيسى دون أب فاعلموا أن خلقة اقرب إلى العقل من خلق آدم من غير أب ولا أم، حيث خلقه من تراب، وبعد أن صوره قال له: كن فكان.

وهو ما دل عليه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ﴾ [1]، فقد اقتضت حكمة الله أن يخلق مخلوقاً من غير أب ولا أم، وهو آدم عليه السلام أبو البشرية، وان يخلق مخلوقا من أب دون أم، وهي حواء زوجته، وان يخلق مخلوق من أم دون أب وهو عيسى، وان يخلق سائر الخلق، غير آدم وحواء وعيسى من أب وأم.

الدليل الثاني: استدلوا على ألوهية المسيح بأنه إلـه من انه خلق من روح الله.

فيجاب على ذلك بان آدم أيضا من روح الله قال الله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [2]، أي واذكر لهم يا محمد حين قال ربك للملائكة إني

(1) سورة آل عمران (59).
(2) سورة ص (72-71).

خالق بشرا من طين، وهو آدم عليه السلام، فإذا أتممت خلقه ونفخت فيه من روحي فخروا له ساجدين، سجود تعظيم وتحية لا سجود عبادة.

فالروح سر من أسرار الله، وهي سر الحياة في كل إنسان، سواء بالنسبة لعيسى أو آدم أبو البشرية أو سائر البشر، بل سائر المخلوقات الحية، من إنسان أو حيوان، وقد سئل رسول الله ﷺ عن حقيقة الروح، فنزل قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [1].

أي يسألك قومك عن حقيقة الروح، قل: الروح هي سر خفي اختصه الله بعلمه، واستأثر به، وما أعطاكم الله من علم في هذه الحياة الدنيا إلا جزءا قليلا من علمه.

فهذه الآية تقرر أن الإنسان مهما أعطاه الله من علم في اكتشاف بعض أسرار هذا الكون، وما سوف يكتشف في المستقبل، هو قليل بالنسبة لعلم الله خالق هذا الكون.

وكل ما يعرفه الإنسان عن الروح أنها شيء يبعثه الله في جسم الإنسان فتكون به حياته، وإذا انتهى أجله خرج من جسمه، فكان موته.

الدليل الثالث: استدلوا على انه إلـه بالخوارق التي ظهرت على يد عيسى عليه السلام.

(1) سورة الإسراء (85).

الجواب: لقد بين الله ان هذه الخوارق هي نوع من انواع المعجزات التي يؤيد الله بها رسله للدلالة على صدقهم، قال تعالى: ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡۖ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٤٩﴾ [1].

أي أن الله أرسله إلى بني إسرائيل، وأيده بالمعجزات الدالة على صدق رسالته، وهي أن يصور لهم من الطين صورة مثل صورة الطير ينفخ فيها فتحل فيها الحياة، وتتحرك طائرا بإرادة الله ومشيئته، ويشفي من ولد أعمى فيبصر بإذن الله وإرادته، وكذلك يشفي من به برص فيزول برصه، ويحيي بعض الموتى ليشهدوا بصدقه ثم يموتون ثانيا، كل ذلك بإرادة الله ومشيئته، ويخبرهم بما يدخرون في بيوتهم من مأكول وغيره، وقال لهم إن هذه الآيات التي أظهرها الله على يدي حجة على إن رسالتي حق إن كنتم ممن يذعنون له ويصدقون به.

الدليل الرابع: انه نطق في المهد، ولم ينطق إنسان وهو ما زال صغيرا في المهد غيره.

---

(1) آل عمران (49).

الجواب على ذلك: أن نطقه في المهد كان لتبرئة امه من الزنى الذي اتهمت به من قبل بني اسرائيل.

بل ان إحيائه للموتى بإذن الله إبرائه للأعمى والأبرص، وخلقه من أم دون أب، كل ذلك هو من المعجزات التي أيد الله بها عيسى عليه السلام حتى يؤمن بنوا إسرائيل به، ومع ذلك لم يؤمن به إلا القليل من بني إسرائيل، فعندما عادت مريم تحمل ابنها قالوا: ﴿ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَىٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ ﴾[1]، فبعد أن بين الله حقيقة المسيح عليه السلام وأمه في هذه الآيات، ذكر اختلاف بني إسرائيل، في أمر المسيح عليه السلام، فاليهود أنكروا رسالته رغم المعجزات الباهرة التي تخرس الألسنة، وتقطع الطريق على منكري رسالته، وقليل منهم من صدقه واعتنق دينه وآمن به، والغالبية العظمى منهم اخذوا يكيدون له، ويحرضون الحكام الرومان عليه،

(1) سورة مريم (27-37).

وانتهى الأمر إلى أن تمكنوا من حمل الحاكم الروماني على أن يصدر الأمر بالقبض عليه والحكم عليه بالإعدام صلبا، واتهموا أمه بالزنى، وقالوا عنه انه ابن الزنا، وهم اليهود لعنهم الله.

اما من آمن به، فقد نزل بهم بعد المسيح بلاء وكوارث واضطهاد ما يجعلهم يستخفون بديانتهم، ويفرون بها أحيانا، ويصمدون للمضطهدين مستشهدين أحيانا أخرى، وهم في كلتا الحالتين لا شوكة لهم ولا قوة تحميهم وتحمي ديانتهم وكيانهم.

وفي وسط هذا الاضطهاد دونت أناجيلهم ومنها الأناجيل الأربعة التي يؤمن بها معظم النصارى، كما دونت رسائلهم.

وقد بلغ عدد الأناجيل التي دونت بعد المسيح عليه السلام ما ينوف على عشرين إنجيلا، ويوجد منها الآن سبعة عشر إنجيلا باللغة الإنجليزية ومكتوب عليها الأناجيل المحرمة، وهي موجودة في مكتبة مجمع اللغة العربية في عمان، وهي من مكتبة المرحوم معالي نصوح الطاهر رحمه الله، والتي تبرع بها إلى مكتبة مجمع اللغة العربية الأردني، وهذه الأناجيل الأربعة، التي يؤمن بها النصارى لم يملها المسيح عليه السلام، ولم تنزل عليه هو بوحي أوحي إليه، ولكنها كتبت من بعده بعد عشرات السنين، وتشتمل على أخبار يحيى (يوحنا المعمدان)، والمسيح وما كان منه، وما أحاط بولادته من عجائب وغرائب، وما كان يحدث منه من

أمور خارقة العادة ولا تحدث من سواه من البشر، وما كان يحدث له من أحداث، وما كان يجري بينه وبين اليهود، وما كان يلقيه من أقوال، وخطب، وأحاديث، وأمثال ومواعظ، ثم أخبار المؤامرة عليه، ومحاكمته التي تم فيها الحكم عليه بالموت صلبا وصلبه بالفعل فيما يعتقدون، وفيها أيضا قيامه من قبره، ومكوثه أربعون يوما، ثم رفعه إلى السماء، وفي الجملة فيها من بدايته إلى نهايته في هذا العالم.

وهذه الأناجيل الأربعة المعتبرة عندهم هي: إنجيل مرقص، وإنجيل متى، وإنجيل لوقا، وإنجيل يوحنا، وهي التي أقرت في مؤتمر نيقا نتيجة لاختلاف النصارى في أمر عيسى، وفي الأناجيل التي كانت متداولة عند عقد مؤتمر نيقا عام (325) بأمر من قسطنطين إمبراطور روما، حيث جمع البطارقة والاساقفة بعد اعتناقه النصرانية، وكان وثنيا قبل ذلك.

فقد كانوا مختلفين في الآراء بالنسبة للمسيح، فمنهم من كان يقول أن المسيح وأمه إلهان من دون الله، ومنهم من كان يقول أن المسيح من الأب بمنزله شعلة نار انفصلت من شعلة نار، فلم تنقص الأولى بانفصال الثانية منها، ومنهم من كان يقول لم تحمل به مريم تسعة اشهر وإنما مر في بطنها كما يمر الماء في الميزاب؛ لأنها الكلمة دخلت في أذنها وخرجت من حيث يخرج الولد من ساعتها، ومنهم من كان يقول أن المسيح إنسان

خلق من اللاهوت كواحد منا في جوهرة، وان ابتداء الابن من مريم، وانه اصطفى ليكون مخلصا للجوهر الإنسى، صحبته النعمة الإلهية، وجلست فيه بالمحبة والمشيئة؛ ولذلك سمي ابن الإنسان، ومنهم من كان يقول بألوهية المسيح وهي مقالة بولس الرسول أي انه هو الإله.

ومنهم من كان يقول إن الأب وحده هو الله، والابن مخلوق مصنوع، وقد كان الأب إذا لم يكن الابن، وهو كلام اريوس المصري واتباعه، فقد كان هذا القس مقرا بوحدانية المعبود، منكرا ما جاء في الأناجيل مما يوهم ألوهية المسيح.

هذه اشهر عقائد النصارى بالنسبة لحقيقة المسيح والتي عرضت في مؤتمر نيقا.

وقد انحاز الإمبراطور قسطنطين إلى ألوهية المسيح مع انهم ليسوا الكثرة، وقرر المجمع ألوهية المسيح، وانه من جوهر الله، وانه قديم بقدمه، وانه لا تعتريه تغير ولا تحول، وفرضت تلك العقيدة على المسيحيين قاطبة مؤيده بسلطان قسطنطين، لاعنه كل من يقول غير ذلك، والذين فرضوا هذا القول (318) اسقفا، ويخالفهم في ذلك نحو سبعمائة وألف اسقف، حضروا الاجتماع، ولكنهم لم يكونوا متفقين فيما بينهم على نحلة واحدة.

ويذكر بعض الرواة لما حصل في المجمع، أن اريوس لما اجتمع بهم وألقى بدعوته ونحلته إليهم، انضم إلى آرائه اكثر من سبعمائة اسقف، وذلك العدد هو اكبر عدد نحله في تلك النحل المختلفة، ولكن قسطنطين فرض عقيدة ألوهية المسيح التي كان يقول بها البعض بقوة السلاح.

وقد أمر المجمع بتمزيق الأناجيل والكتب التي تخالف هذا المذهب؛ ليمنع أن يصل إلى الناس علم بأي أمر من الأمور التي تخالف رأيه.

وأما بالنسبة لعقيدة اليهود في حقيقة المسيح، فهم لم يؤمنوا برسالته ويقولون انه ابن زنا وأمه زانية.

وأما بالنسبة لحقيقة المسيح عليه السلام كما يعتقد كل مسلم، فهي العقيدة التي جاء بها القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفة وهو كلام رب العالمين.

فقد بين القرآن لهؤلاء المسرفين والمغالطين في شان سيدنا عيسى عليه السلام، الزاعمين له ما ليس له من ألوهية أو بنوة أو حلول، أن عيسى لم يكن إلا شخصا من آل عمران، الذين اصطفاهم الله ممن اصطفى من البشر، ليكون رسولا لبني إسرائيل، وان ولادته من أم دون أب ما كانت إلا تنفيذاً لإرادة الله، الذي يصور الناس كيف يشاء، والذي إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون، شانه في ذلك كخلقه للسماوات والأرض، وفي خلق آدم، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ**

﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [1] ، أي إنكم إذا استبعدتم خلق عيسى دون أب فاعلموا أن الله خلق آدم من غير أب ولا أم، وهو اعجب من خلق عيسى الذي خلقه من أم دون أب.

والحكمة في خلق عيسى من أم دون أب بينها الله في كتابه بقوله: ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾﴾ [2].

أي أن الحكمة في بعثة وخلقه، كذلك ليكون خلقه معجزة داله على قدرة الله التي لا تتقيد بالأسباب المادية، وانه سبحانه فعال لما يريد، ولتكون بعثه رحمة للناس، وخاصة بني إسرائيل الذين أرسل إليهم عيسى عليه السلام، الذين انحرفوا عن شريعة، الله وابتعدوا عن طاعته وعبادته، وتحجرت قلوبهم حتى أصبحت كالحجارة أو اشد قسوة.

كما أن في ولادته من غير أب وبنفخ الروح في مريم، بيان بان الإنسان مكون من مادة وروح، أي من عنصرين مستقلين أحدهما الجسد والآخر الروح، وذلك لنقض ما جاء في التوراة التي يؤمن بها اليهود بان الروح هي الدم، فقد جاء فيها لا تأكلوا دم جسم ما؛ لان نفس كل جسد هي دمه، فهم لا يعرفون الروح على أنها شيء غير الجسم، فلما جاء عيسى من أم دون أب وكان إيجاده بروح من خلق الله كان آية معلمة لمن لم يعرف الإنسان إلى أنه جسم لا روح فيه، وهذه آية من الله، كما بينت الآيات

([1]) سورة آل عمران (59).
([2]) سورة مريم (21).

القرآنية أن الخوارق التي ظهرت على يديه لم تكن إلا من سنة الله في تأييد رسله، الدالة على انهم عباد علمهم الله الكتاب والحكمة.

وقد ذكر الله قصة مريم بنت عمران منذ نشأتها، ثم ولادتها لعيسى عليه السلام في سورة آل عمران وفي سورة مريم، وبين أنها كانت تقية صالحة، نشأت على الفضيلة ورعاية الله لها، وأنها ولدت من أبوين صالحين، كما ذكر قصة ولادتها للمسيح عليه السلام، وكيف انطقه الله وهو في المهد، لتبرئتها من الفاحشة التي قد يظن بها، حيث ولدته دون أب، وفي ذلك رد على اليهود الذين اتهموها بالزنا والفاحشة، وبيان أن عيسى عليه السلام هو عبد الله ورسوله، أرسله الله إلى بني إسرائيل بعد ضلالهم.

قال الله تعالى في سورة آل عمران: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ

سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ
مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ
لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ
رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ
كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ
ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِي
وَٱرْكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ
يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ
ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا
وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾
قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا
فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾
وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ
كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ
وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً
لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم

بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [1].

وبعد هذا البيان لحقيقة سيدنا عيسى عليه السلام وأمه في القرآن، وبيان حقيقة عيسى وأمه عند اليهود والنصارى، أذكر المسائل الأساسية في الخلاف بين الإسلام والنصرانية.

أولاً: النصرانية لا تقر بنبوة محمد عليه الصلاة والسلام كما يقر الإسلام بنبوة عيسى عليه السلام.

ثانياً: النصرانية تقول بالتثليث، والإسلام يؤمن بوحدانية الله سبحانه وتعالى، ويكفر كل من يقول به.

ثالثاً: النصارى يؤلهون عيسى عليه السلام ويزعمون انه ابن الله، والإسلام يقر بان عيسى ليس ابنا لله، وإنما هو رسول كغيره من الرسل، الذين أرسلهم الله لهداية الناس إلي الطريق المستقيم، ويدللون على ذلك، في كثير من الآيات القرآنية التي تدلل على ذلك وتقيم الحجة عليهم، قال تعالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [2].

([1]) سورة آل عمران (33-51).

([2]) سورة المؤمنون (91-92).

أي لو كان معه آلهة أخرى لاتخذت هذه الآلهة طريقا للمغالبة ومحاولة لانتزاع الملك، كما هو العادة بين الملوك، فتعالى الله عما يفترون علواً كبيراً .

وقال تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [1].

أي لو كان في السماء والأرض آلهة غير الله تدبر أمرهما، لاختل النظام الذي قام عليه خلقهما، وقد بلغ غاية الدقة والأحكام تنزيها لله صاحب الملك عما ينسبه إليه المشركون.

رابعاً: هناك طائفة تزعم أن المسيح هو الله، والإسلام يعتقد ويقرر أن المسيح هو رسول أرسل إلي بني إسرائيل، ودعاهم لعبادة الله وحده لا شريك له.

خامساً: هناك طائفة أخرى تزعم بان المسيح وأمه إلهين من دون الله، والإسلام يعتقد ويقرر بان المسيح وأمه مريم هما بشرين من خلق الله، حملت أمه مريم به من دون أب ليكون آية لبني إسرائيل، ويدلل على انه رسول من عند الله، وأنطقه وهو في المهد ليدلل على ذلك، ويدلل على صدق أمه، وأنها ليست بغية كما يزعم اليهود الذين لم يؤمنوا بعيسى عليه السلام.

---

(1) سورة الأنبياء (22).

فقد قرر الإسلام أنها كانت امرأة مؤمنة صديقة طاهرة من بني الإنسان، وان عيسى عليه السلام هو رسول من البشر أيضا، والدليل على ذلك انهما كانا يأكلان الطعام لحاجتهما إليه، والآلهة لا تحتاج إلي الطعام، كما كانا يمشيان في الأسواق، وقال بان خلق عيسى دون أب في غرابته كخلق آدم دون أب ولا أم بل هذا اغرب في ذلك، قال تعالى: :﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ﴾ [1] فولادته لم تكن إلا تنفيذاً لإرادة الله الذي يصور الناس في الأرحام كيف يشاء، والذي إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون، شانه في ذلك أيضا كشان يحيى عليه السلام الذي خلقه وأوجده من أب عجوز كبير في السن وأم عاقر، وهو الذي يطلق عليه النصارى يوحنا المعمدان، ويقولون أنه ابن خالة عيسى عليه السلام، فزكريا والده كان نبيا وكان قائما بأمر مريم عليها السلام، وقد ذكر الله قصته في سورة آل عمران، كما ذكر قصته وقصة مريم وعيسى في سورة مريم، قال تعالى في أول سورة مريم: ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾

(1) سورة آل عمران آية (59)

يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾ ﴾ [1].

وقد كان نصارى شبه الجزيرة العربية يجادلون رسول الله محمد ﷺ على اختلاف نحلهم على أساس مذاهبهم، وكان يحاججهم بالوحي عن طريق المنطق، ومن كتبهم، ويرد على شبهاتهم التي يحتجون بها على ألوهية المسيح.

فالإسلام دين توحيد وصفاء وقوة وبساطة ووضوحا، وذلك كما هو واضح من الآيات التي ذكرت بعضها، وهي كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾ [2]، وقوله: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[3]، وقوله﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ [4]

([1]) سورة مريم (2-9).
([2]) سورة الإسراء (42).
[3] سورة الأنبياء: ٢2
([4]) سورة الإخلاص: ١ - 4

كما كان اليهود يجادلون رسول الله ﷺ، وكانت ضرب الجدل بينه وبينهم على اشدها، وخاصة بعد أن أسلم بعضهم، وأخذت دعوته تنتشر في الجزيرة العربية.

وقد علم نصارى نجران بما كان يحصل من جدال ونقاش بين رسول الله ﷺ وبين اليهود، فجاء إلي المدينة وفد من نصارى نجران، عدتهم ستون رجلا، من بينهم من شرف فيهم ودرس كتبهم وحسن علمه في دينهم. واجتمع رسول الله ﷺ فيهم، وحضر الاجتماع بعض علماء اليهود الذين كانوا يسكنون المدينة، فاجتمع أصحاب الديانات الثلاث الإسلام والمسيحية واليهودية، واخذوا يتجادلون فيما بينهم في الديانة المسيحية واليهودية والإسلام وخاصة بالنسبة لسيدنا عيسى عليه السلام، **فكان هذا هو اول مؤتمر للاديان الثلاثة**.

فأما اليهود فكانوا كما نعلم ينكرون رسالة عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام، ويزعمون أن عزيراً ابن الله.

وأما النصارى فكانوا ينكرون رسالة محمد ويقولون بالتثليث وألوهية عيسى عليه السلام.

وأما الرسول ﷺ فكان يدعوا إلى توحيد الله، وإلى الأيمان برسالة موسى وعيسى ومن ذكرهم الله من الأنبياء والرسل، وقد سأل اليهود والنصارى رسول الله ﷺ عمن يؤمن بهم من الرسل هو ومن اتبعه من المسلمين، فكان جوابه كما قال القرآن: ﴿ **قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ**

أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ ﴾[1].

وكان ينكر عليهم اشد الإنكار كل ما يلقي آية شبهة على وحدانية الله، ويذكر لهم انهم حرفوا الكلم مما في كتبهم عن مواضعه، وانهم يذهبون في عقيدتهم إلى غير ما ذهب إليه النبيون، وأن النبيون بشروا به في كتبهم، وان ما جاء به عيسى وموسى ومن سبقهم من الأنبياء، لا يختلف في شيء عما جاء به من الأيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين، لان ما جاءوا به هو الحقيقة الأزلية الخالدة، التي تظهر لكل إنسان ينزه نفسه عن الخضوع لغير الله في عظمته ووحدانيته.

ان هذا المؤتمر الذي عقد في المدينة المنورة، هو اعظم وافضل مؤتمر تلتقي فيه أصحاب الديانات الثلاث، يبحث في عناصر العقيدة التي أنزلها الله على رسله، ليؤمنوا بوحدانيته وعدم عبادة غيره، ولم يكن مؤتمراً سياسياً ولا اقتصادياً ولا اجتماعياً مثل المؤتمرات التي تعقدها جمعية تقارب الأديان، فهو مؤتمر عقائدي يبحث في شؤون العقيدة، وهو الايمان بالله

(1) سورة البقرة (136- 137).

واخلاص العبادة له وحده لا شريك له مع الايمان بنبوة محمد وعيسى وموسى عليهم السلام.

ولما لم يسلموا لرسول الله ﷺ بنبوته، وبان عيسى عليه السلام هو عبد الله ورسوله، وليس كما يزعم اليهود بأنه ابن زنا، ولا كما يزعم النصارى بأنه ثالث ثلاثة، أو أنه هو الله، وكلا الفريقين قد ضلوا عن حقيقة التوحيد وعن الدين عند الله، أمر الله رسوله أن يسلك معهم مسلكا آخر بسبب تعنتهم، فيدعوهم إلى المباهله، وهي أن يجتمعوا جميعا مع محمد ﷺ وجماعته في صعيد واحد، ويستمطر الكل لعنة الله على الكاذب منهم، قال تعالى: ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ ﴾[1].

وهكذا كما تحدى القرآن المشركين أن يأتوا بمثله، أو بآية من مثله، وهم أرباب اللسان والبيان، فعجزوا، تحدى اليهود والنصارى في شان عيسى وما دعى إليه وذلك بهذه المباهله السهلة الهينة لو كانوا صادقين، إلا أن اليهود والنصارى رفضوا هذه الدعوة إلى المباهله، واضطربت أعصابهم، وعلموا انهم إذا قبلوا الدعوة إلى هذه المباهله فهو الفناء للوالد وما ولد، وهو المحق الذي لا يبقي ولا يذر، فتولوا وانقطعوا عن الحجاج.

([1]) سورة آل عمران (61).

فأمره الله سبحانه بعد ذلك رسوله أن يوجه إليهم جميعا دعوة المنتصر في حقه، القوي في برهانه، الحريص على خير خصمه وسعادته، مناشداً إياهم، بما يقربهم إليه وإلى الدين الحق ويخفف من غلوائهم وتعنتهم في عبادة غير الله، وذلك بقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [1].

ماذا يستطيع اليهود أو يستطيع النصارى وغيرهم، ان يقولوا بالنسبة لهذه الدعوة التي دعى إليه القرآن، وهي كلمة عادلة جامعة يستوي فيها كل أصحاب الكتب السماوية الصحيحة، وكل من يؤمن بأن لهذا الكون خالق إلا يعبدوا إلا الله خالق السماوات والأرض وما فيهن، وخالقهم، ولا يجعلوا غيره من الأنبياء ورجال الدين أو غيرهم شريكا له في استحقاق العبادة، ولا يجعلوا لأحد غيره منزله الرب الخالق في التحليل والتحريم، فيقبلوا كل ما يقولون ولو كان مخالفا لحكم الله.

أقول: أن هذا هو الإنصاف والحق بعينه الذي ينبغي أن يؤمن به، ويسير على هداه جميع أصحاب الديانات السماوية، فلا يؤله بعضهم بعضا، ولكن من المؤسف له انهم بعد هذه الدعوة التي دعى إليه الإسلام ما زال اليهود والنصارى يؤلهون رجال الدين الذين يحلون لهم ما حرم الله عليهم، ويحرمون عليهم ما حلل الله لهم، وبعض النصارى يؤمن بصكوك

(1) سورة آل عمران (64).

الغفران والحرمان التي تصدر من رجال الدين عندهم، ويعبدون المسيح بن مريم، لذلك قال الله في حقهم: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[1].

هذه هي حقيقة المسيح ودعوته التي بينها الله في كتابه وهو القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من رب العالمين.

وقد جاء في بعض الأناجيل الأربعة على لسان المسيح عليه السلام ينفي عن نفسه بأن يوصف بأنه صالح (أي الصلاح الكامل)، وقال أنه ليس أحد صالحاً أي كاملاً إلا واحد وهو الله، فقد ورد في إنجيل متى: (وإذا واحد تقدم وقال له: أيها المعلم الصالح: أي صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية؟ فقال له: لماذا تدعوني صالحاً؟ ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله؟ الاصحاح التاسع عشرة الفقرة: 6.

وجاء هذا النص أيضاً في انجيل مرقس في الإصحاح العاشر (وفيما هو خارج إلى الطريق ركض واحد وجثا له وسأله: أيها المعلم الصالح ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية؟ فقال له يسوع: لماذا تدعوني صالحاً؟ ليس أحد صالح إلا واحد وهو الله) الإصحاح العاشر الفقرة 17.

([1]) سورة التوبة (31).

فهو هنا ينفي عن نفسه بأن يوصف صالح أي كامل في صلاحه ويقول ليس احد صالح إلا واحد وهو الله، أي أن الصلاح المطلق وهو الكمال المطلق هو لله وحده وهذا إقرار منه بأنه إنسان وليس كاملاً وأن الكمال لله وحده وهو ليس معصوم عن الخطأ بارتكاب بعض الذنوب وهي الصغائر كسائر الأنبياء والرسل كما ورد في إنجيل يوحنا قول المسيح عليه السلام: (وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك انت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته) الاصحاح الفقرة: 17.

فهو هنا يعلمنا أن لا اله إلا الله وأن يسوع المسيح هو رسول الله. ولم يرد في أي من الأناجيل الأربعة أنه كان يقال له أن هو الله أو ابن الله أو ثالث ثلاثة وإنما كان يقال له: أيها المعلم، أو يا ابن داود. والمقصود بنسبته إلى داود إلى النبي داود عليه السلام أنه ينتسب إليه لأمه مريم البتول رضي الله عنها.

كما أرسل على بشر بعثه الله، وأنه ليس إله أو ابن إله أيضاً.كما أن يحيى عليه السلام المعروف بالانجيل بـ يوحنا المعمدان قد عمده.

وأما بالنسبة لنهاية المسيح عليه السلام على الارض وحقيقة رفعة ونزوله:

فقد اختلف أصحاب الديانات السماوية في ذلك.

1- ذهب اليهود إلى القول بان المسيح لم يكن هو المسيح الذي كانوا ينتظرونه، فهم يزعمون بأنه كذاب، وتأمروا على قتله وشكوه إلى

بيلاطس حاكم فلسطين من قبل الرومان فقضى عليه بالموت صلبا، فصلب في زعمهم ودفن واستراحوا منه.

2- وأما بالنسبة للنصارى فهم يعتقدون كما يعتقد اليهود أن بيلاطس حاكم فلسطين بعد أن صلبه صلبا مميتا بناء على تآمر اليهود عليه، فمات صلبا في زعمهم ودفن، إلا انهم يعتقدون انه بعد أن مكث في القبر ثلاثة أيام قام من القبر ومكث بين تلاميذه أربعين يوما، ثم ارتفع بعدها إلى السماء أمام تلاميذه الذين عينهم لنشر ديانته، إذ قال لهم اذهبوا إلى العالم، وكرزوا بالإنجيل للخليقة، وعمدوه باسم الأب والابن وروح القدس.

ويذكر متى انه بعد صلبه ظهر في الجليل ويذكر لوقا انه ظهر في أورشليم، ويذكر يوحنا انه ظهر في اليهودية والجليل معا، وأما مرقس فاكتفى بذكر ظهوره بين تلاميذه، وهم يعتقدون أن صلبه كان فداء عن الخلق وهم ذرية آدم.

فهم يقولون في هذا أن الله من صفاته المحبة، حتى لقد جاء في كتبهم المقدسة عندهم الله محبه ومحبه الله ظهرت في تدبيره طريقة الخلاص للعالم؛ لان العالم من عهد سقوط آدم في الخطيئة وهبوطه هو وبنيه إلى الدنيا بسبب هذه الخطيئة، وهو أكله من الشجرة التي وصاه الله إلا يأكل منها، فأكل منها بإغواء إبليس، فاستحق هو وذريته اللعنة والعذاب، ولكن الله سبحانه رحمة منه لعباده جسد كلمته وهو ابنه الأزلي تجسدا ظاهرا، ورضي

بموته على الصليب، وهو غير مستحق لذلك؛ لكي يكون ذلك فداء الخطيئة الأولى، ولم يكن في استطاعة أحد أن يقوم بذلك الفداء سوى ابن الله وابن الإنسان معا، وهذا الفداء هو المسيح ولد مريم العذراء!!!

فقد جاء في إنجيل لوقا: وإن ابن الإنسان، قد جاء ليطلب ويخلص ما قد هلك، فبمحبته ورحمته قد صنع طريقا للخلاص، لهذا كان المسيح هو الذي يكفر عن خطايا العالم، وهو الوسيط الذي وفق بين محبة الله تعالى وبين عدله ورحمته، إذ أنه مقتضى العدل أن الناس كانوا يستمرون في الابتعاد عن الله بسبب ما اقترف أبوهم، ولكن باقتران العدل بالرحمة، وبتوسيط الابن الوحيد وقبوله للتكفير الذي قام به المسيح هو الصلب لهذا الصلب، ورضى الله عن صلبه وهو الابن، ودفن بعد الصلب، ولكنه قام بعد ثلاثة أيام من قبره كما ذكرت أناجيلهم الأربعة، ورفع إلى السماء بعد أربعين يوما، وجلس بجوار الرب في زعمهم، وسياتي ليدين الناس يوم القيامة يحاسب كل انسان على ما فعل ان خيرا فخير وان شرا فشر، وله بهذا المالك الأبدي ولا فناء لملكه، وهم يقولون أن الله سيدين سكان هذه الارض بيسوع المسيح، لان الأب في زعمهم لا يدين أحدا، بل قد أعطى ذلك للابن فأعطاه سلطان أن يدين الإنسان؛ لأنه ابن الإنسان، فلذلك يعتبر الصليب شعارهم وموضع تقديس الأكثرين، ولذا كان حمله علامة على اتباع المسيح.

جاء في إنجيل لوقا: وقال للجميع أنه ان أراد أحد أن يأتي ورائي، فلينكر نفسه، ويحمل صليبه كل يوم ويتبعني، فحمل الصليب كما يقول كتابهم إشعار بإنكار النفس وابتغاء اثر المسيح في هذا الإنكار، والسير وراء مخلصهم وفاديهم.

3 – اما بالنسبة للاسلام: فبالنسبة للأمر الأول وهو ما يدعيه اليهود والنصارى، بان المسيـــــح قد صلب فالقرآن صريح بذلك، فقد بين انه لم يقتـــل ولم يصلب، قـــــال تعـــالى في سورة النساء: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ ﴾[1]، أي أن الله غضب على اليهود بسبب زعمهم بأنهم قتلوا المسيح ابن مريم رسول الله، والحق المستيقن الذي لا شك فيه انهم ما قتلوه كما زعموا وما صلبوه كما ادعوا كذبا، ولكن حصلت الشبه لهم فظنوا انهم قتلوه، مع أن المقتول والمصلوب كان غيره، ولقد اختلفوا فيما بينهم بعد ذلك في أن المقتول عيسى ام غيره، وانهم جميعا لفي شك من قتله، فقال بعضهم هو، وقال غيرهم ليس إياه، والواقع انهم يقولون ما لا علم لهم إلا عن طريق الظن، وما قتلوا عيسى قطعا متيقنا.

وقد ورد في بعض الاحاديث ان الله ألقى الشبه على تلميذه يهوذا الذي خانه، وأراد أن يسلمه للرومان لقتله، ويهوذا هذا هو يهوذا

(1) سورة النساء (157).

الاسخريوطي الذي تقول الأناجيل عنه، أنه الذي دس عليه ليرشد الذين يريدون أن يقبضوا عليه، إذ كانوا لا يعرفونه، وكان أحد تلاميذه المختارين في زعمهم، وبذلك يكون الله سبحانه قد رد مكر اليهود ومن تآمر عليه من تلاميذه، وهو يهوذا الاسخريوطي إلى نحورهم، وهو ما نص عليه قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾[1]، فقد دبر كفار بني إسرائيل تدبيرا خفيا لقتل المسيح عليه السلام، فحملوا حاكم فلسطين من قبل الرومان على الحكم بقتله وصلبه، واستعانوا بإلقاء القبض عليه بأحد تلاميذه ليدل الرومان عليه، ودبر الله سبحانه تدبيرا خفيا، فابطل الله مكرهم فأنقذه الله منهم ولم ينجحوا فيما أرادوا، حيث ألقى شبهه على تلميذه الذي خانه، وقتل وصلب بدلا عنه، والله سبحانه احكم المدبرين وأقواهم حيث رد كيدهم في نحرهم، فاعدم وصلب تلميذه الإسرائيلي الذي خانه مكانه.

والقول بأن المسيح عليه السلام قتل وصلب لتكفير سيئة آدم عليه السلام بسبب أكله من الشجرة، فالقرآن الكريم يقرر أن كل انسان هو مسؤول عن نفسه ولا يتحمل ذنب واثم غيره ولو كان أبوه أو أبو البشرية آدم عليه السلام قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ﴿١٦٤﴾ ﴾[2].

([1]) سورة آل عمران (54).
([2]) سورة الانعام (164).

كما بين القرآن الكريم أن الله غفر لآدم ذنبه بأكله من الشجرة، وذلك بقوله: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [1]، أي أن الله سبحانه وتعالى ألهم آدم كلمات يقولها للتوبة والاستغفار من ذنبه، بأكله من الشجرة فقالها، فتقبل الله منه توبته، وغفر له، لأنه كثير القبول للتوبة، وهو الرحيم بعباده، فيقبل توبتهم إذا ندموا عن ذنبهم، وتابوا ورجعوا إليه.

وأما بالنسبة للأمر الثاني: وهو ما حصل للمسيح عليه السلام بعد أن نجاه الله من كيد بني إسرائيل الذين لم يؤمنوا به.

أقول اختلف المفسرون في ذلك:

ذهب معظم المفسرين إلى ان الله سبحانه رفعه بجسمه وروحه وهو حي في السماء، وسوف ينزل في آخر الزمان فيكسر الصليب ويقتل الخنزير، ويقتل المسيح الدجال.

وذهب البعض إلى القول أنه عاش فترة بعد أن أنقذه الله حتى توفاه الله كما يتوفى أنبياءه ورسله، وذلك كغيره من الأنبياء مثل آدم وإبراهيم وموسى ومحمد ﷺ.

أدلة أصحاب المذهب الأول:

استدل أصحاب المذهب الأول بما يلي:

أولاً: بقوله تبارك وتعالى في سورة النساء: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِۚ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [2]، وقالوا بأن الرفع كان بالجسم والروح.

([1]) سورة البقرة (37).

([2]) سورة النساء (158).

ثانياً: استدلوا فيما رواه البخاري قال حدثنا إسحاق أخبرنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا أبي عن صالح عن ابن شهاب عن سفيان بن المسيب سمع أبا هريرة قال رســـــول الله ﷺ: (والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا، فليكسرن الصليب، وليقتلن الخنزير، وليضعن الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيـــا وما فيها)، ثم يقول أبا هريرة واقرءوا ان شئتم: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ النساء: ١٥٩ .

كما استدلوا بما رواه الإمام مسلم عن ظهور الأعور الدجال في آخر الزمان (وهو أعور العين اليسرى، فيأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت، ويمر بالخربة ويقول لها اخرجي كنوزك فتخرج متشبعة كنوزها، ثم يدعوا رجلا ممتلئا شابا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين، -أي قطعتين- رمية الغرض، ثم يدعوه فيقبل وتهلل وجهه يضحك، فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، بين مهرودتين -أي ثوبين مصبوغين بورس ثم بزعفران- واضعا كفيه على اجنحة ملكين اذا طأطأ رأسه قطر، واذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ، فلا

يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله..)[1].

قالوا بالنسبة لاستدلالهم بهذه الآية بأن ظاهره يدل على رفع عيسى بعد أن أنقذ من كيد اليهود بروحه وجسده إلى السماء وهو ما زال حياً ولم يمت كما مات سائر الأنبياء والرسل.

وقالوا بان الحديث الذي رواه أبا هريرة يدل على انه ما زال حيا بعد أن رفعه الله إلى السماء، وأنه سوف ينزل في آخر الزمان ليكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حيث يكثر، فيصبح الناس أغنياء فلا يقبل أحد أنه يأخذ من غيره مالا لكثره المال الذي يكون عند كل واحد منهم.

كما استدلوا بالآية التي ذكرها أبو هريرة واستدل بها على نزول عيسى عليه السلام وهو قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ وقالوا بان الضمير في قوله: ﴿لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ﴾، وفي قوله﴿قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ يعود إلى عيسى وبذلك يكون معنى الآية لا يبقى أحد من أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى إذا نزل عيسى إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت

([1]) انظر الحديث في صحيح مسلم بشرح النووي ج(18) باب ذكر الدجال من صفحة (67-68)، وانظر الاحاديث التي اوردها الامام مسلم بالنسبة للمسيح الدجال من صفحة (58-77)، المطبعة المصرية.

عيسى، وانه إذا نزل آمن به جميع اليهود والنصارى وعلى هذا تكون الآية خاصة باليهود والنصارى، الذين يدركون نزول عيسى عليه السلام فهم قد خصصوها بهم.

كما استدلوا بالاحاديث التي رواها الإمام مسلم عن ظهور أعور الدجال في آخر الزمان، وان عيسى عليه السلام سوف ينزل عند المنارة البيضاء في دمشق، ويطلب الأعور الدجال، ويدركه عند باب لد، فيقتله.

أدلة أصحاب المذهب الثاني:

استدل اصحاب المذهب الثاني الذين قالوا بان عيسى عليه السلام بعد أن أنقذه الله من كيد اليهود، عاش حتى توفاه الله كما يتوفى أنبياءه، ورفع روحه كما ترفع أرواح الأنبياء والصديقين بما يلي:

أولاً: بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾[1]، قالوا هذه الآية تذكر لنا شأناً أخروياً يتعلق بعباده قوم عيسى له ولأمه في الدنيا، ويسأله الله عنها يوم القيامة، وهي تقرر على لسان عيسى عليه

(1) سورة المائدة (116-117).

السلام؛ أنه لم يقل لهم إلا ما أمره الله به: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾، وانه كان شهيداً عليهم مدة إقامته بينهم، أي مدة حياته، وأنه لا يعلم ما حدث منهم بعد أن توفاه الله، وهذا يدل على عدم نزوله واطلاعه على ما حصل منهم بعد أن أنقذه الله من كيد اليهود وتوفاه باستيفاء أجله، وذلك بموته، فلو أنه سوف ينزل لما كان صادقاً في جوابه.

قال أستاذي فضيلة الشيخ محمود شلتوت، شيخ الأزهر الأسبق، في معنى كلمة التوفي ما نصه: (كلمت التوفي قد وردت في القرآن كثيرا بمعنى الموت، حتى صار هذا المعنى هو الغالب عليها المتبادر منها، ولم تستعمل في غير هذا المعنى إلا وبجانبها ما يصرفها عن هذا المعنى المتبادر:﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾[1]،﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾[2]،﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ﴾[3]،﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾[4]،﴿حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ﴾[5]،﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾[6].

ومن حق كلمة توفيتني في الآية، أن تحمل على المعنى المتبادر، وهو الإماته العادية التي يعرفها الناس، ويدركها من اللفظ والسياق الناطقون

([1]) سورة السجدة (11).
([2]) سورة النساء (97).
([3]) سورة الأنفال (50).
([4]) سورة الأنعام (61).
([5]) سورة النساء (15).
([6]) سورة يوسف (101).

بالضاد، وإذن فالآية لو لم يتصل بها غيرها في نهاية عيسى مع قومه؛ لما كان هناك مبرر بان عيسى حي لم يمت.

ولا سبيل إلى القول بان الوفاة هنا مراد بها وفاة عيسى بعد نزوله من السماء، بناء على زعم من يرى انه حي في السماء، وانه سينزل منها في آخر الزمان؛ لان الآية ظاهرة في تحديد علاقته بقومه هو، لا بالقوم الذين يكونون آخر الزمان، وهم قوم محمد ﷺ باتفاق.

ومعنى كلامه؛ أن الآية تدل دلالة قاطعة على أن عيسى عليه السلام لن ينزل في آخر الزمان، لأنه لو كان سوف ينزل لما كان جوابه لربه: ﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ﴿١١٧﴾ ﴾[1] أي لا علم لي بما حدث منهم بعد وفاتي، وهي عبادتهم لي ولأمي، لأنه كيف يكون لا علم له بما حدث منهم مع القول بنزوله وكسره للصليب وقتله للخنزير؟

ثانياً: قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾[2].

قال فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى شيخ كليتي أصول الدين واللغة العربية بالأزهر سابقاً وعضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر في

(1) سورة المائدة :117.
(2) سورة آل عمران (54-55).

تفسير هذه الآيات في المصحف الميسر مستدلاً بهاتين الآيتين على موت عيسى عليه السلام بعد أن نجاه الله من مكر اليهود ما نصه:

﴿ وَمَكَرُوا ﴾: اي دبر كفار بني إسرائيل تدبيراً خفياً لقتل عيسى عليه السلام.

﴿ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ﴾ : أي دبر الله تدبيراً أبطل به مكرهم، بأن شبه لهم فظنوا أنهم قتلوه، مع أن المقتول غيره.

﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ﴾: المراد مستوفي أجلك في الدنيا وأنت مكرم على فراشك.

﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾: أي جاعلك في منزله رفيعة مع إدريس والصالحين وهو يريد بذلك ما ورد في حق إدريس، وهو قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ ﴾ [1].

﴿ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ : أي مبعدك عن سوء عملهم.

فهو يرى بأن المراد بالوفاة الموت الحقيقي، وهو ما دلت عليه الآيات السابقة حيث لم يرد ما يصرفه عنه، كالآيات السابقة، فلذلك قال في معنى متوفيك؛ مستوفي أجلك في الدنيا وأنت مكرم على فراشك، وليس المراد النوم كما يرى من زعم بأنه رفعه بجسمه وروحه.

([1]) سورة مريم (56-57).

كما يرى بأن المراد بالرفع الذي جاء بعد التوفي هو رفع المكانة لا رفع الجسد.

ويؤكد أن المراد في هذه الآية رفع المكانة أنه جاء بجانبه قوله تعالى: ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فهذا يدل على أن الأمر أمر تشريف وتكريم.

وقد جاء الرفع بالقرآن بهذا المعنى في قوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾[1]، ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾[2]، ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾[3]، ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾[4]، ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾[5].

وقد فسر الالوسي في تفسيره قوله: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ بوجوه منها؛ أني مستوفي أجلك ومميتك حتف أنفك، لا أسلط عليك من يقتلك، وهو كناية عن عصمته من الأعداء، وما هم بصدده من قتله عليه السلام؛ لأنه يلزم من استيفاء الله اجله موته حتف انفه.

وردوا على أدلة من قالوا بأنه رفعه بجسمه وروحه إلى السماء فقالوا:

---

(1) سورة النور (36).
(2) سورة الأنعام (83).
(3) سورة الشرح (4).
(4) سورة مريم (57).
(5) سورة المجادلة (11).

بالنسبة للرد على الآية التي استدلوا بها وهي قولـــه تبارك وتعالى:﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ ﴾، بان المراد رفع المكانة لا رفع الجسد، وقالوا من أين يؤخذ رفعه بجسمه إلى الســماء من كلمة قوله: ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ ﴾.

قال فضيلة الأستاذ محمود شلتوت بالنسبة لمعنى الرفع، ونحن إذا رجعنا إلى قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ ، في آيات آل عمــران مع قوله: ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ ﴾، في آيات سورة النساء، وجدنا الثانية أخباراً عن تحقيق الوعد الذي تضمنته الأولى، وقد كان هذا الوعد بالتوفيه والرفع والتطهير من الذين كفروا، فإذا كانت الآية الثانية قد جاءت خالية من التوفيه والتطهير واقتصرت على ذكر الرفع إلى الله، فانه يجب أن يلاحظ منها ما ذكره في الأولى، جمعا بين الآيتين، والمعنى أن الله توفى عيسى ورفعه إليه وطهره من الذين كفروا.

وقال فضيلته بالنسبة للرد على حديث أبي هريرة أن هذا الحديث اقتصر فيه على الأخبار بنزول عيسى، وإذا صح هذا الحديث فهو حديث آحاد، وقد اجمع العلماء على أن أحاديث الآحاد لا تفيد العقيدة ولا يصح الاعتماد عليها في شان المغيبات.

وقال بالنسبة لنزول عيسى بعد الدجال، وقتله له ما نصه: هي روايات مضطربة مختلفة في ألفاظها ومعانيها، اختلافاً لا مجال معه للجمع بينها، وقد نص على ذلك علماء الحديث، وهي فوق ذلك من رواية وهب بن منبه وكعب الأحبار، وهما من أهل الكتاب الذين اعتنقوا الإسلام، وقد عرفت درجتهما في الحديث عند علماء الجرح والتعديل.

وقالوا بالنسبة لرجوع عيسى: كيف يعود عيسى وقد انتهى أجله، وأدى رسالته أداء كاملاً، ووفاه الله أجله، وفاء تاماً في الحياة الدنيا، والمعروف أن سنة الله قد مضت بامتناع العودة لمن يتوفاهم الله.

وقالوا كيف يأتي محمد رسول الله ﷺ متمماً لرسالات النبيين والمرسلين، وبكتاب جامع لشريعة شاملة، لدين تقوم عليه الساعة، بغير حاجة إلى بعث نبي بعده، ثم يقول في هذا الحديث أن عيسى يأتي مرة أخرى بعد خاتم المبعوثين جميعا؟ وكيف تصدق بان نبيا يبعث مرتين مرة قبل محمد ﷺ ومرة بعده؟ وأي شيء كان يستحق الذكر في القرآن لتأكيد حصوله، أهم من أن يخبرنا الله بإرسال عيسى مرتين، مرة لقومه خاصة قبل النبي محمد ﷺ، ومرة أخرى للناس عامة بعد موت النبي ﷺ.

وقالوا إذا كان تبارك وتعالى قد أخبر عيسى وقومه بمجيء محمد ﷺ من بعده في الإنجيل، فكيف يقدر لعيسى مجيئاً معاداً ومكرراً دون أن يخبرنا عن هذا المجيء في القرآن الكريم.

وقالوا: ان الحديث الذي رواه أبو هريرة يقول أن عيسى سيجيء فيقتل المسيح الدجال والخنزير ويكسر الصليب.

والسؤال: هل سيقتل خنزيرا واحدا ام كل الخنازير التي على وجه الارض؟ وهل سيحطم كل الصلبان ويغلق مصانع إنتاجها عالمياً؟ أم انه يكسر صليبا واحدا كرمز فقط كصليب البابوية مثلا؟

كما قالوا: إذا كان المسيح الدجال سيظهر في آخر الزمان، وان المسيح سوف يقتله عند باب لد في فلسطين، فلماذا كان رسول الله ﷺ يتعوذ منه؟ وكان أنبياء الله قد انذروا أمتهم منه؟ مع انه لن يظهر في زمانهم ولا في زمن رسول الله ﷺ!!

كما قالوا بالنسبة للحديث الذي رواه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قد يكون أبو هريرة رواه عن كعب الأحبار فأخطأ من رواه عنه فنسبه إلى رسول الله ﷺ.

فقد روى الإمام مسلم بسنده إلى بشير بن سعيد انه قال: (اتقوا الله وتحفظوا من الحديث، فوالله لقد كنا نجالس أبا هريرة، فيحدث عن رسول الله ﷺ ويحدثنا عن كعب الأحبار، ثم يقوم، فاسمع بعض من كان معنا يجعل حديث رسول الله ﷺ عن كعب، وحديث كعب عن رسول الله)، وفي رواية: (يجعل ما قاله كعب عن رسول الله ﷺ، وما قاله رسول الله ﷺ عن كعب فاتقوا الله وتحفظوا في الحديث).

وقالوا بالنسبة للأحاديث التي رواها الإمام مسلم عن ظهور المسيح الدجال، وأنه أعور العين، وأن الله أقدره على أشياء من مقدوراته من إحياء الميت الذي يقتله، ومن ظهور بعض نعم الدنيا والخصب على يديه، واتباع كنوز الأرض له، وأمره السماء أن تمطر فتمطر، والأرض أن تنبت فتنبت، ثم ينزل عيسى فيقتله[1] كل ذلك من الإسرائيليات، وقالوا: هي مخارف وخيالات لا حقائق لها.

وقالوا: لو كان ما جاء منها حقا لم يوثق بمعجزات الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم.

وقالوا بالنسبة للآية التي احتج بها أبو هريرة على صحة ما رواه من نزول عيسى وهي قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾: **أن المراد منها بيان أن جميع أهل الكتاب من اليهود الذين لا يؤمنون برسالته، والنصارى الذين يقولون بألوهيته؛ سوف كل واحد منهم عندما يحضره الموت ويعانيه قبل خروج روحه، يؤمن بعيسى وانه عبد الله ورسوله، ولكن لا ينفعه هذا الأيمان في تلك الحالة كما قال تعالى: ﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ ﴾** .

([1]) انظر صحيح مسلم، شرح النووي، ج (18) ص (58) - (77)، باب ذكر الدجال وهي احاديث متناقضة ومختلفة.

قال فضيلة الاستاذ عبد الجليل عيسى في تفسيره لهذه الآية في المصحف المفسر ما نصه:

ان حرف ما نفي بمعنى ليس، أي وليس أحد من اهل الكتاب الا ليؤمنن بعيسى على الوجه الصحيح؛ وهو أنه رسول الله لا كذاب كما يقول اليهود، ولا ابن الله كما يقول النصارى، وهذا يحصل لكل واحد عندما يشرف على الموت وينكشف عنه الغطاء، ويكون عليهم شهيداً يوم القيامة، وهو أنه دعاهم لعبادة الله، خالقه وخالقهم.

وبعد أن استدل فضيلة الشيخ محمود شلتوت على أن المسيح عليه السلام مات موتا طبيعيا بعد أن أنقذه الله من كيد بني إسرائيل، وأن الرفع كان بروحه، وذلك كما ترفع أرواح الأنبياء والصديقين والشهداء، وهو ما دلت عليه الآيات قال:

(وبعد: فما عيسى إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، ناصبة قومه العداء، وظهرت على وجوههم بوادر الشر بالنسبة إليه، فالتجأ إلى الله شأن الأنبياء والمرسلين، فأنقذه الله بعزته وحكمته، وخيب مكر أعدائه، وهذا ما تضمنته الآيات: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ ، إلى آخرها بين الله فيها قوة مكره بالنسبة إلى مكرهم، وان مكرهم في اغتيال عيسى قد ضاع أمام مكر الله في حفظه وعصمته، إذ قال: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ ، فهو

يبشره إنجاءه من مكرهم ورد كيدهم في نحورهم، وانه سيستوفي اجله حتى يموت حتف انفه من غير قتل ولا صلب، ثم يرفعه الله إليه).

وهذا هو ما يفهمه القارئ للآيات الواردة في شان نهاية عيسى مع قومه، متى وقف على سنة الله مع أنبيائه حين يتآلب عليهم خصومهم، ومتى خلا ذهنه من تلك الروايات التي لا ينبغي أن تُحَكّم في القرآن، ولست ادري كيف يكون إنقاذ عيسى بطريق انتزاعه من بينهم ورفعه بجسده إلى السماء مكرا؟ وكيف يوصف بأنه خير من مكرهم مع انه ليس في استطاعتهم أن يقاوموه شيء ليس في قوة البشر؟

إلا انه لا يتحقق مكر في مقابلة مكر إلا إذا كان جاريا ما على أسلوبه، غير خارج على مقتضى العاده فيه، وقد جـــاء مثل هذا في شان محمد ﷺ : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ .

وبالنسبة لظهور المسيح الدجال، فقد استدل من قال بظهوره في آخر الزمان، قبل يوم القيامة، بحديث رواه الامام البخاري واحاديث اخرى رواها الامام مسلم.

فقد روى الامام البخاري منسوبا إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، ان النبيﷺ قام في الناس فاثنى على الله بما هو اهله، ثم ذكر الدجال، فقال: (اني انذركموه، وما من نبي الا وقد انذر قومه، لقد انذر

نوح قومه به، ولكن سأقول لكم فيه قولا لم يقله نبي لقومه، تعلمون بأنه أعور، وان الله ليس بأعور)[1].

وقد رد اصحاب المذهب الثاني الذين قالوا بعدم حصول وجوده على هذا الحديث وبينوا عدم صحته فقالوا:

1- إن معظم الأحاديث التي ذكر فيها المسيح الدجال ذكرت أنه سوف يظهر في آخر الزمان عند قرب نزول عيسى عليه السلام، وأن عيسى سوف يقتله:

فكيف كان رسول الله ﷺ يتعوذ منه، وامر اصحابه ان يتعوذوا منه؟ بل كيف انذر نوح قومه منه؟ وقد مضى على بعثة نوح عليه السلام آلاف السنين، وهو إلى الآن لم يظهر ولم يأتنا بعد؟؟؟

كما قالوا ان النبي ﷺ قال في هذا الحديث: (ان المسيح الدجال أعور، وان الله ليس بأعور)، فكيف يعقل مسلم ان يشبه الله بالمسيح الدجال، وان له عينان، الا انه ليس باعور لاحدى عينيه كالمسيح الدجال؟؟؟، حاشا لله سبحانه وتعالى من التجسيم والتشبه الذي أنفاه الله عن نفسه بقوله تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾[2].

كما استدلوا بالنسبة لظهور المسيح الدجال، ونزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان، بما رواه الامام مسلم عن فاطمة بنت قيس، والذي

---

(1) انظر صحيح البخاري ج (4) ص (86) دار احياء التراث العربي.
(2) سورة الانعام (103).

ذكر فيه قصة الجساسة، وذكر الدجال، وهو حديث طويل جاء فيه: (ان النبيﷺ نادى إلى الصلاة جامعه، فلما انتهت الصلاة جلس على المنبر وهو يضحك، وقال: ان تميما الداري كان رجلا نصرانيا، فجاء فبايع واسلم، وحدثني حديثا وافق الذي كنت احدثكم عن المسيح الدجال، حدثني انه ركب سفينة بحريه مع ثلاثين رجلا من لخم وجذام، فلعب بهم الموج شهرا في البحر، ثم نزلوا إلى جزيرة في البحر، فلقيتهم دابة غليظة الشعر وكثيرة، لا يظهر وجهها من دبرها من كثرة الشعر، فقالوا: ويلك ما انت!، فقالت: انا الجساسة، وامرتهم ان يذهبوا إلى رجل في الدير، فرأوا اعظم انسان رأوه قط خلقا، واشده وثاقا، مجموعة يداه إلى عنقه، ما بين ركبتيه إلى كعبة بالحديد، فقال: اخبروني عن نخل بيسان، هل يثمر؟، فقالوا له: نعم، قال: اما انه يوشك ان لا يثمر، قال: اخبروني عن بحيرة طبريا، هل فيها ماء؟، قالوا: هي كثيرة الماء، قال: اما ان ماءها يوشك ان يذهب، ثم قال: اني انا المسيح الدجال، واني اوشك ان يؤذن لي في الخروج فاخرج، فاسير في الارض، فلا ادع قرية الا هبطتها في اربعين ليلة، غير مكة ويثرب؛ فهما محرمتان علي كليهما، كلما اردت ان ادخل واحدة منهما استقبلني ملك بيده السيف صلتا يصدني عنها، وان على كل نقب منها ملائكة يحرسونها، ثم قال رسول الله ﷺ: اعجبني حديث تميم انه وافق الذي كنت احدثكم عنه وعن المدينة ومكة، الا انه في بحر الشام او بحر اليمن، لابل من قبل المشرق وأومأ بيده قبل المشرق[1].

(1) انظر حديث قصة الجساسة بتمامه في صحيح مسلم، شرح النووي، ج (18) ص (78).

– وقد رد اصحاب المذهب الثاني للحديث الذي ورد فيه قصة الجساسة، فقالوا في بيان عدم صحته وانه من الاسرائيليات:

اولاً: ان هذا الحديث ذكر ان المسيح الدجال كان حياً من زمن الرسول ﷺ، وانه يوجد في دير في احدى الجزر في وسط البحر، وهو مقيد في الحديد، ففي أي جزيرة من البحر هو؟، وهل يعقل أنه إلى الآن لم تستكشف هذه الجزيرة ولم يصل إليها أحد من الناس! مع ان الانسان في هذا العصر لم يبق مكان على الأرض الا وصله؟؟؟.

ثانياً: ان القول بان المسيح الدجال موجود من زمن الرسول ﷺ، وهو مكبل بالحديد، يناقض بعض الروايات والتي في صحيح مسلم نفسه، **انه يخرج من أصبهان**، وفي حديث النواس بن سمعان عند مسلم ايضا انه **يخرج بين الشام والعراق**، وروى الحاكم واحمد انه يخرج من خراسان، وفي رواية الطبراني والخطابي **ان الدجال تلده أمه في مدينة قوص أرض مصر**، فاي رواية من هذه الروايات المتعددة والمتناقضة هي الصحيحة عندكم؟؟؟

ثالثاً: اذا كان مكبلا بالحديد في دير في جزيرة في وسط البحر، **فمن الذي كبله في الحديد ووضعه في دير في وسط الجزيرة التي تزعمون انه يوجد فيها؟؟؟**

رابعاً: ورد في هذا الحديث انه يعرف مدينة بيسان في فلسطين، كذلك يعرف بحيرة طبريا ايضا، وان تميم الداري ومن معه يعرفونها، **فمن الذي عرفه بهما؟ علما بأنه مكبلا بالحديد في وسط جزيرة نائية يعيش في دير فيها، ومن الذي يطعمه ويسقيه فيها؟ ام انه لا يأكل ولا يشرب كالملائكة؟؟؟**

خامساً: ورد على لسان المسيح الدجال ان نخل بيسان يوشك ان لا يثمر، وان بحيرة طبريا يوشك ماؤها ان يذهب، **فمن الذي اعلمه بهذه التنبؤات، على ان نخل بيسان ما زال مثمرا وبحيرة طبريا لم يجف ماؤها، وقد مضى على تنبؤاته ما ينوف على الف واربعمائة عاما!!!**

سادساً: ورد على لسان المسيح الدجال في هذا الحديث على انه يوشك ان يؤذن له في الخروج فيخرج، فيسير في الارض فلا يدع قرية الا هبطها في اربعين ليلة، غير مكة ويثرب – أي المدينة –، فكلتاهما محرمتان عليه، وانه كلما اراد ان يدخل تصده الملائكة عنهما، حيث تقف الملائكة بالسيوف لحمايتها!!!

فمن الذي اعلمه بأنه يوشك ان يؤذن له في الخروج من الدير ومن الجزيرة التي هو محبوس بها ومقيد بالحديد؟؟؟، ومن العجيب ان نبوأته لم تتحقق بعد، حيث لم يؤذن له بالخروج، وقد مضى عليها ايضا ما ينوف على الف واربعمائة عام!!!!

وكيف يستطيع ان يدخل كل قرية ومدينة في القارات الخمس في مدة اربعين يوما؟!، فهل يصلهما في طائرة او سيارة؟!!

كذلك يقال: من الذي اعلمه بأن مكة والمدينة محرمتان عليه دخولهما، وانهما محروستان بملائكة قد استلت سيوفها لحراستها، واذا كان يعلم ذلك **فلماذا سوف يحاول دخولهما؟؟؟**

كما روى الامام مسلم روايات اخرى عن فاطمة بنت قيس نفسها في قصة الجساسة، وهي مختلفة عن الرواية الاولى منها، بان الرسول ﷺ وقف على المنبر، فقال: ايها الناس حدثني تميم الداري أن أُناساً من قومه كانوا في البحر في سفينة لهم، فانكسرت بهم، فركب بعضهم على لوح من الواح السفينة، فخرجوا إلى جزيرة في البحر ...الخ، وفي رواية فينزل بالسبخة فترجف المدينة ثلاث رجفات، ويخرج منها كل كافر ومنافق، وفي رواية فياتي سبخة الجرف فيضرب رواقه، وقال: فيخرج اليه كل منافق ومنافقة.

وفي رواية عن انس بن مالك رضي الله عنه، ان الرسول ﷺ قال: يتبع الدجال من يهود اصبهان سبعون الفا عليهم الطيالسة.

فقالوا بالنسبة لهذه الرواية: ان اصبهان اليوم لا يوجد فيها عشر هذا العدد من اليهود، فمتى يوجدون وعليهم الطيالسة؟

وبالنسبة لرواية فاطمة بن قيس لقصة الجساسة، قالوا:

ثبت ان عمر بن الخطاب رد حديثها لما قالت: بت زوجي طلاقي، فلم يجعل لي رسول الله ﷺ نفقة ولا سكنه، وقال: لا ندع كتاب ربنا،

وسنة نبينا، لقول امرأة لا ندري أصدقت ام كذبت، حفظت ام نسيت[1]، وهذا بالاضافة إلى اختلاف الروايات في قصة الجساسة عنها، وتناقضها التي رواها الامام مسلم.

فبالنسبة للرواية التي رواها الامام مسلم عن نواس بن سمعان، وهو حديث طويل جاء في آخره: ان الله يبعث ريحا شديدة فتقبض كل مؤمن وكل مسلم، ويبقى شرار الناس، يتهارجون تهارج الحمر، فعليهم تقوم الساعة.

اقول: ان الذي يقرأ الأحاديث التي رواها الامام مسلم عن المسيح الدجال، يرى ان المعجزات التي سوف تظهر على يديه، لم تظهر على يد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، ولا على يد أي نبي من انبياء الله، وهي متناقضة ومختلفة فيما بينها.

فمن الاحاديث التي رواها الامام مسلم عن المسيح الدجال انه اعور العين اليمنى، وروى الامام مسلم ايضا انه اعور العين اليسرى، وروى ان معه نهران يجريان، احدهما رأي العين ماء ابيض، والاخر نار تأجج، وفي رواية ان الدجال يخرج ومعه ماء ونار، فاما الذي يراه الناس ماء فنار تحرق، واما الذي يراه الناس نار فماء بارد عذب، فمن ادرك ذلك منكم فليقع في الذي يراه نارا، فانه ماء عذب طيب!!!

([1]) تاريخ الفقه الاسلامي - مقرر سنة ثانية على طلبه كليه الشريعة في الازهر - ص (43)، تاليف مدرسي المادة، ومراجعه الاستاذ الشيخ محمد على السايس-بدون تاريخ.

وفي رواية اخرى ايضا لمسلم ان الرسول ﷺ وصف الدجال، فقال: ان اسراعه في الارض كالغيث استدبرته الريح فياتي على القوم فيدعوهم فيامنوا به ويستجيبون له، فيامر السماء فتمطر، والارض فتنبت، ثم ياتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله، فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بايديهم شيء من اموالهم، ويمر بالخربة، فيقول لها اخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النخل، ثم يدعوا رجلا ممتلئا شابا فيضربه بالسيف، فيقطعه جزئين رمية الغرض، ثم يدعوه فيقبل، ويتهلل وجهه يضحك، فبينما هو كذلك، اذ يبعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق واضعا كفيه على اجنحة ملكين ...الخ.

يدرك ان هذه الاحاديث قد نسبت إلى رسول الله ﷺ كذبا وافتراء عليه، وهي من وضع اليهود والفرس والروم من اعداء الاسلام، الذين غلبوا على امرهم، فهم لم يجدوا امامهم منفذا يدسون منه على المسلمين ما يفسد عليهم دينهم، إلى ان يتظاهروا بالاسلام، ويضعوا الاحاديث في التشبيه والتعطيل، وتأليف القصص من الخرافات والاباطيل التي لا يتقبلها عقل الانسان السوي، حيث سد امامهم التحريف او التبديل او الزيادة بالنسبة للقرآن الكريم، حيث قام ابو بكر الصديق الخليفة الاول لرسول الله بجمعة وكتابته في المصحف، وتحقق وعد الله لرسوله بقوله تعـــالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[1].

(1) سورة الحجر (9).

اما السنة النبوية فلم يدون منها في عصر الرسول ﷺ أي مدة ثلاث وعشرين سنة الا القليل النادر؛ وذلك لشيوع الامية، وخوفهم من اختلاط السنة بالقرآن، ولئلا ينصرف الناس بحفظ السنة عن حفظ القرآن، وقد روى الامام مسلم في صحيحه ان النبي ﷺقال: (لا تكتبوا عني غير القرآن).

وكذلك لم يدونوا منها في عصر الخلفاء الراشدين الا النذر اليسير؛ بسبب تشديد الخلفاء الراشدين في روايتها، فكان ابو بكر وعمر يطلبون من الرواة شاهدا على صدق روايته عن رسول الله ﷺ، وكان عليٌ يحلف الراوي على انه سمع ذلك عن رسول الله ﷺ، وكذلك لم يدونوا السنة في زمن الخلفاء الراشدين؛ لانشغال معظم الصحابة في الجهاد في سبيل الله، والفتوحات التي تحققت على ايديهم، وكذلك بسبب انتشار الامية، كما ان عمر رضي الله عنه كان ينهى عن تدوينها؛ لئلا ينصرف الناس بحفظ السنة عن حفظ القرآن.

وظل الامر كذلك حتى اوائل المائة الثانية، حيث أمر الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز بتدوينها.

وبسبب عدم تدوينها والاكتفاء بالاعتماد على الذاكرة في حفظها في القرن الاول، كثر وضع الاحاديث المكذوبة على رسول الله في هذه الفترة، حتى ان ابن عباس رضي الله عنه وهو الذي عرف عنه الرغبة في جمع الحديث، والجد في طلبه، يقول فيما يرويه عنه الامام مسلم: (انا كنا

نحدث عن رسول الله ﷺ اذ لم يكذب عليه، فلما ركب الناس الصعب والذلول تركنا الحديث عنه)، وفي حديث اخر ان بشير العدوي جاء إلى ابن عباس فجعل يحدث ويقول (قال رسول الله)، فجعل ابن عباس لا ياذن لحديثه ولا ينظر اليه، فقال: يا ابن عباس، مالي لا اراك تسمع لحديثي؟ احدثك عن رسول الله ولا تسمع؟ فقال ابن عباس: (انا كنا اذا سمعنا رجلا يقول: قال رسول الله ابتدرته ابصارنا واصغينا اليه بآذاننا،فلما ركب الناس الصعب والذلول، لم ناخذ من الناس الا ما نعرف).

كذلك ولما سدد امام اعداء الاسلام تحريف القرآن الكريم، جاءوا إلى التفسير فادخلوا فيه اشياء خرافة وقصص خيالية، ولا يخلوا تفسير من التفاسير التي الفت في القرون الاولى، الا ودخله الاسرائيليات، فكتب التفاسير كلها قد انزلق مؤلفوها في هذا العصر إلى ذكر بعض الاسرائيليات على درجات متفاوتة، وبيان هذه الاسرائيليات في هذه التفاسير أمر يطول بنا، وانما اكتفي بذكر بعض الامثلة ليتضح مدى انتشار هذه الاسرائيليات في كتب التفسير:

اولاً: بالنسبة لتفسير ابن جرير الطبري، وهو تفسير بالمأثور، فإذا طالعناه نجد كثيرا من الاخبار والقصص الاسرائيلي مسنده إلى كعب الأحبار، ووهب بن منبه، وابن جريج، وغيرهم من مسلمة أهل الكتاب،

وهي غرائب كثيرة لا يقبلها عقل، ويردها الشرع، ومن العجيب انه يرويها ولا يتبعها بنقد ليبين بطلانها وعدم صحتها، من ذلك:

1. ما ذكره في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾[1]، فقد قال: حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا حجاج عن مفضل بن فضاله عن علي بن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران، قال: قال الحواريون لعيسى ابن مريم: لو بعثت لنا رجلاً شهد السفينة، فحدثنا عنها، قال: فانطلق بهم حتى انتهى بهم إلى كثيب بن تراب، فاخذ كفاً من ذلك التراب بكفة، قال: أتدرون ما هذا؟، قالوا: الله ورسوله اعلم، قال: هذا كعب حام ابن نوح، قال فضرب الكثيب بعصاه، قال: قم باذن الله، فإذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه قد شاب، قال له عيسى: هكذا هلكت؟، قال: لا، ولكن مت وأنا شاب، ولكني ظننت أنها الساعة، فمن ثم شبت، قال: حدثنا عن سفينة نوح، قال: كان طولها ألف ذراع ومائتي ذراع، وعرضها ستمائة ذراع، وكانت ثلاث طبقات، فطبقة فيها الدواب والوحش، وطبقة فيها الانس، وطبقة فيها الطير، فلما كثر أرواث الدواب، اوحى الله إلى نوح ان اغمز ذنب الفيل، فغمزة فوقع منه خنزير وخنزيره، فأقبلا على الروث، فلما وقع الفار بحبل السفينة يقرضه،

(1) سورة هود (38).

اوحى الله إلى نوح ان اضرب بين عيني الاسد، فخرج من منخرة سنور وسنورة، فأقبلا على الفار.

فقال له عيسى: كيف علم نوح ان البلاد قد غرقت؟، قال: بعث الغراب يأتيه بالخبر، فوجد جيفة فوقع عليها، فدعا عليه بالخوف؛ فلذلك لا يألف البيوت.

قال: ثم بعث الحمامة، فجاءت بورق زيتون بمنقارها، وطين برجلها، فعلم ان البلاد قد غرقت، قال: فطوقها الخضرة التي في عنقها، ودعا اليها ان يكون في انس وامان؛ فمن ثم تألف البيوت، فقلنا: يا رسول الله، الا ننطلق به إلى اهلينا فيجلس معنا ويحدثنا؟، قال: كيف يتبعكم من لا رزق له؟، قال فقال له: عد باذن الله، قال فعاد إلى التراب.

2. ومن هذه الاباطيل ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ** ﴾ ، قال ابن جرير: حدثنا قتاده أن سليمان أمر ببناء بيت المقدس، فقيل له: إبنه ولا يسمع فيه صوت حديد، قال: فطلب ذلك فلم يقدر عليه، فقيل له: إن شيطاناً في البحر يقال له صخر المارد، قال: فطلبه، وكان عين في البحر يردها في كل سبعة ايام مرة، فنزح ماؤها وجعل فيها خمرة، فجاء يوم وروده، فاذا هو بالخمر، فقال: انك لشراب طيب، الا انه تصيبين الحليم، وتزيدين الجاهل جهلاً، قال ثم رجع حتى عطش عطشاً شديداً ثم اتاها، فقال: انك لشراب طيب، الا انك تصيبين الحليم، وتزيدين الجاهل جهلاً، قال: ثم شربها حتى غلبت

على عقله، قال: فارى الخاتم او ختم به بين كتفيه فذل... ، وجاء في القصة ان ملك سليمان كان في خاتمة، وكان سليمان اذا اراد ان يدخل الخلاء او الحمام لم يدخله بخاتمة، فانطلق يوما إلى الحمام، وذلك الشيطان صخر معه، فدخل الحمام واعطى الشيطان خاتمة، فألقاه في البحر، فالتقمته سمكة، ونزع ملك سليمان منه، فالقى على الشيطان شبه سليمان، قال فجاء فقعد على كرسيه وسريرة، وسلط على ملك سليمان كله غير نسائه، قال فجعل يقضي بينهم، وجعلوا ينكرون منه اشياء، حتى قالوا: لقد فتن نبي الله، وكان فيهم رجل يشبهونه بعمر ابن الخطاب في القوة، فقال: والله لأجربنه، قال فقال له: يا نبي الله، – وهو لا يرى الا انه نبي الله – احدنا تصيبه الجنابة في الليلة الباردة، فيدع الغسل عمدا حتى تطلع الشمس، أترى عليه بأسا؟، قال: لا، فبينما هو كذلك اربعين ليلة، حتى وجد نبي الله خاتمه في بطن سمكة، فاقبل فجعل لا يستقبله جني الا سجد له، وقال في معنى: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا﴾، هو الشيطان صخر.

اقول: هذه القصة واضح كل الوضوح انها كذب وافتراء، وهي من الاسرائيليات، فمحال ان يلقي الله شبه سليمان عليه السلام على شيطان، فيلبس الناس امر دينهم، ومحال ان يمكن الله شيطانا من التسليط على ملك سليمان، فيحكم فيه كيف يشاء.

3. ومن الاسرائيليات والاباطيل التي يرويها ابن جرير في تفسيره، ما ذكره في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ

عَلَيۡهِ أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ ﴾ .

وقبل ان اذكر ما ذكره ابن جرير من اسرائيليات واباطيل في تفسيره لهذه الآية، وابين ان الذين لفقوها ارادوا النيل من رسول الله ﷺ، والتشكيك في اعماله واخلاقه، واتهامه بما هو ابعد الناس عنه، ارى انه ينبغي ان اوضح قصة زواج زينب ابنة عمة رسول الله ﷺ أميمة بنت عبد المطلب، من زيد بن حارثة الذي كان مولى لرسول الله ﷺ ثم اعتقه وتبناه، ثم قصة طلاقها منه، ثم ابين موقف الرسول ﷺ من طلاقها، والامر الإلهي لرسول الله بزواجه منها بعد طلاقها من زيد.

فاقول: ان قصة زواج زينب بزيد بن حارثة وطلاقها منه ثم زواج الرسول ﷺ منها بعد طلاقها من زيد، وردت في آيتين من سورة الاحزاب في القرآن الكريم، وهو قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ٣٦ وَإِذۡ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَأَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِ أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ إِذَا قَضَوۡاْ مِنۡهُنَّ وَطَرٗاۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولٗا ﴾ .

سبب نزول الآية الاولى، عن ابن عباس قال: خطب رسول الله ﷺ زينب بنت جحش لمولاه زيد بن حارثة، فاستنكفت منه وكرهت وابت،

فنزلت الآية، وفي رواية فامتنعت وامتنع اخوها عبد الله لنسبها من قريش، فلما نزلت الآية، جاء اخوها فقال: يا رسول الله، مرني بما شئت، قال: فزوجها من زيد، فرضي وزوجها.

وزينب هذه ابنت عمة رسول الله ﷺ، وابنة عمة عبد الله بن عباس، فامها أميمة بنت عبد المطلب، وعبد الله بن عباس هو اصدق من روى سبب زواج زينب ابنة عمته.

وسبب رفض زينب من الزواج من زيد؛ هو ان المجتمع العربي في الجاهلية كان يقوم على الفوارق الطبقية، ويدين بها، فيستنكر ان يتزوج من الشريفات والحرائر الموالي، او من هم دونهم في النسب مكانه، ثم جاء الاسلام يقرر ان الناس سواسية كاسنان المشط، وانه لافضل لعربي على اعجمي، ولا لابيض على اسود، ولا لغني على فقير، ولا لحر على عبد، الا بالتقوى، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ ، فأراد رسول الله ﷺ أن يحقق هذا المبدأ على اقرب الناس اليه، وهي ابنة عمتة زينب الأسدية والقريشية، وذلك كعادته في تطبيق الاحكام التي تخالف وتهدم عادات الجاهلية، وتحطم الفوارق الاجتماعية التي كان المجتمع العربي يقوم عليها، ولم تكن زينب بحكم نشأتها العربية، الا تدين بما يدين به غيرها في المجتمع التي تعيش فيه، فابت هي واخيها بصفتها قريشية

الزواج من زيد الذي كان مولى لابن عمتها ثم أعتقه وتبناه، ولكن بعد نزول هذه الآية اذعنت وتزوجته.

ويقول فضيلة الاستاذ عبد الجليل عيسى عميد كليتي اصول الدين واللغة العربية سابقاً في تفسيره لهاتين الآيتين[1]:

- ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ ﴾: هذا الحكم وان كان عاماً، الا ان المراد به هنا عبد الله بن جحش وزينب اخته، عندما رفضا ان يتزوج زيد زينب، وبعد نزول هذه الآية خضعا لما قضى الله.

- ﴿ ٱلْخِيَرَةُ ﴾: أي الاختيار، أي ان يكون لهم اختيار، بل عليهم الانقياد والتسليم.

- ﴿ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ﴾: أي بالهداية إلى الاسلام، وهو زيد بن حارثة.

- ﴿ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ ﴾: بالعتق وحسن التربية.

- ﴿ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾: ما اخفاه ﷺ هو ما اوحى الله به اليه، بأن زيداً سيطلق زينب ويجب ان تتزوجها لتبطل بنفسك عادة الجاهلية من تحريم زوجة المتبنى - بفتح النون -، وجعله كالابن من الصلب.

- ﴿ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ ﴾: كان ﷺ يخاف من تشنيع المنافقين وقولهم ان محمداً تزوج امرأة متبناة.

([1]) التفسير الميسر لفضيلته، ص (555).

- ﴿قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾: اصل الوطر الحاجة، والمراد: فلما قضى زيد منها حاجته واصبح لا يريدها لقسوتها في معاملته.

- ﴿حَرَجٌ﴾: أي اثم.

- ﴿أَدْعِيَآئِهِمْ﴾: هم ابناء الغير الذين يدعي غير ابائهم انهم ابنائهم كما تقدم في آية (4)، وهو يريد بذلك قوله تعالى في هذه الآية: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ .

مما سبق ظهر لنا تفسير هاتين الآيتين: ان رسول الله ﷺ هو الذي خطب ابنة عمته زينب لمولاه زيد الذي اعتقه وتبناه، وان زينب واخيها رفضا ذلك، وبعد نزول الآية الاولى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ ، خضعا لما قضى الله ورسوله، فوافقت زينب على الزواج من زيد، وكانت زينب تعامل زوجها زيد معاملة فيها الوان من الترفع عليه، وتعييره بماضيه في الرق، وبأنها اعرق منه نسباً، وهي امور لا تطيب معها الحياة الزوجية عادة، ولا يمكن ان تستمر، فلما تكرر ذلك منها عزم زيد على طلاقها، وذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فقال النبي ﷺ: (امسك عليك زوجك، واتق الله في ابقاء هذا الزواج)، بعدم طلاق زينب، وكان قد اوحي اليه بأن زيداً سيطلق زينب ويجب ان يتزوجها لتبطل بنفسك عادة الجاهلية من تحريم زوجة المتبنى، وجعله كالابن من الصلب، الا أنه ﷺ اخفى ذلك في نفسه؛ مخافة من تشنيع المنافقين عليه بقولهم قد تزوج من

مطلقة ابنه، كما كانوا يعتبرون المتبنى، الا ان الامر لم يطل، فقد طلق زيد زينب؛ بسبب تطاولها عليه بافتخارها عليه بأنها حرة قريشية، وأنه عبد لا يدانيها في نسبها وحسبها، واكملت عدتها، وصدر امر الله عز وجل إلى رسوله الكريم بأن يتخذها زوجة، فتزوجها رسول الله ﷺ، واصبحت احدى امهات المؤمنين.

وبهذا الزواج تقرر حكماً شرعياً، هو حل زوجة المتبنى لمن تبناه بعد طلاقها، وهذا هو ما دلت عليه الآية الثانية، وهو قولة تعالى: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَأَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِ أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ إِذَا قَضَوۡاْ مِنۡهُنَّ وَطَرٗاۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولٗا ٣٧ ﴾[1].

كما قرر حين زوجها رسول الله ﷺ من زيد حكماً شرعياً اخر قبله، وهو ان الناس سواسية كاسنان المشط، وان الموالى كالسادة يباح لهم الزواج بالحرائر الشريفات، وهو ما قررته الآية الاولى وطبقة رسول الله ﷺ.

بعد هذا البيان في تفسير الآيتين اللتين وردا فيهما قصة زواج زينب على زيد بن حارثة رضي الله عنه، ثم طلاقها منه وزواجها لرسول الله، والذي تم فيهما تقرير حكمين شرعيين، وهدم وابطال لبعض عادات

(1) سورة الاحزاب (37),

الجاهلية، اذكر ما اورده ابن جرير من روايات اسرائيلية ضعيفة واهية، للطعن في اعمال الرسول ﷺ وفي أخلاقه، والنيل من مقامة العظيم، عند تفسيره للآية الثانية وهو قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ** ...إلخ﴾.

وقد بين بطلانها كثير من علماء التفسير منهم ابو بكر بن العربي في تفسيره، وابن كثير في تفسيره ايضاً، حيث قالا بعدم صحتها ولم يورداها.

وقد اورد فضيلة الاستاذ الدكتور مصطفى زيد، استاذ التفسير في كلية دار العلوم ما ذكره الطبري وصاحب السمط الثمين، ورد عليهما وبين بطلانه، وانه من الاسرائيليات، وان الذين لفقوها وارادوا النيل من رسول الله ﷺ، فقال فضيلته ما نصه[1]: (ولكي نبين بطلان هذا الذي نقله وقبله، لا بد ان ننقله بعبارته، والطبري يرفعه بسنده إلى محمد بن يحيى بن حيان، يروى عنه: ان رسول الله ﷺ افتقد زيداً، فجاء منزله يطلبه، فهرعت زينب تستقبله وقد أعجلتها اللهفة عن استكمال ثيابها للقاء الرسول، فقالت: (ليس هنا يا رسول الله فادخل بابي انت وامي).

وفي رواية اخرى للطبري ايضاً، عن ابن زيد وهو ضعيف جداً لا تقبل روايته: (ان الرسول جاء يطلب زيداً، وعلى باب زينب ستر من

(1) الدكتور مصطفى زيد: سورة الاحزاب عرض وتفسير، ص (164-151)، طبعته دار الفكر العربي، الطبعة الاولى 1389هـ - 1969م.

شعر، فرفعت الريح الستر، فانكشف عنها وهي في حجرتها حاسرة، فوقع اعجابها في قلب الرسول ﷺ).

وتمضي الرواية تقول: (ودعته إلى الدخول فابى وولى عليه الصلاة والسلام، وهو يهمهم بكلمات ميزت منها زينب قوله: سبحان الله العظيم، سبحان الله مصرف القلوب، واقامت زينب في مكانها تفكر فيما سمعت من قول ابن خالها، حتى جاء زيد، فكان اول ما لقيته به ان الرسول اتى منزله، سألها زيد: الا قلت له ادخل؟، فاجابته: بلى، قد عرضت عليه ذلك فابى، واستطرد زيد مستفسرا: فسمعته يقول شيئا؟، قالت: سمعته يقول حين ولى سبحان الله العظيم، سبحان الله مصرف القلوب، فاطرق زيد برهة ثم خرج، حتى اتى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، بلغني انك جئت منزلي، فهلا دخلت، بابي انت وامي، ثم اضاف متسائلا: فافارقها؟ فقال الرسول: مالك؟ أرابك منها شيء؟، فاجاب زيد: لا والله يا رسول الله، ما رابني منها شيء، ولا رأيت الا خيراً، ولكنها تتعظم علي لشرفها، وإن فيها كبراً، تؤذيني بلسانها، فقال الرسول: امسك عليك زوجك.

يقول فضيلة الاستاذ مصطفى زيد بعد ان ذكر هذه الرواية الباطلة والملفقة التي رواها ابن جرير في بيان بطلانها: (ومع احتياط الذين اختلقوا هذه القصة ولفقوها، كما يبدوا في حرصهم على ذكر ان الرسول قد سبح الله ولهج بذكره عندما رآها وهي حاسرة كما يزعمون، وفي

حكايتهم ما نصح به الرسول زيداً من امساكها والابقاء على زوجيتها، نراهم وقد افتضح ما لفقوه على زعمهم في كلمات القصة كما صوروها، وفي وقائعها كما زعموا.

فهم أولاً: يوردون رؤية الرسول لها كأنها حدث طارئ عليه، ليس به سابق عهد، وبعبارة اخرى هم يدعون ان الرسول قد فاجأه جمالها، حتى لم يجد ملاذا الا التسبيح باسم الله، وتذكر انه مصرف القلوب، وفي هذا تجاهل لصلة القرابة الوثيقة التي تربطهﷺ بزينب، وهي الصلة التي سوغت له ان يحملها على قبول زيد زوجاً لها بعد معارضة وامتناع، والتاريخ الصحيح يسجل ان حديثاً دار بين الرسول وبينها في هذا الشأن، وغير معقول ولا مستساغ وهو منها بمنزله الولي، ان تتحدث اليه وهي خلف ستارة تحجبها عنه حتى لا يراها.

وهم ثانياً: يدعون ان زينب قد لقيت الرسول دون ان تستكمل ثيابها، او ان الريح قد رفعت الستارة المصنوعة من الشعر والتي كانت على باب زينب، فرآها الرسول وهي في حجرتها حاسرة، وهم يدعون هذا او ذاك حسب اختلاف الروايات الموضوعة، وينسون ان ورع رسول الله ﷺ يمنعه من ان ينظر، وان ما عرفت به زينب رضي الله عنها من شدة تمسكها باوامر دينها، يمنعها ان تستقبل الرسول وهي غير مستكملة ثيابها، ويبدوا ان الذين وضعوا الرواية الثانية كانوا اعرف بفن الوضع،

فجعلوا الريح ترفع الستارة، وادعوا ان الرسول رأى زينب وهي حاسرة في حجرتها، لكن روايتهم هي ايضا ملفقة وستتولى سائر ردودنا على القصة ببيان مظاهر التلفيق فيها.

وهم ثالثاً: لا يلبثون ان يفتضح امرهم، عندما يحكون قصة لقاء زينب لزوجها عندما عاد، فقد ذكروا ان اول ما لقيته به ان الرسول اتى منزلها، وهذا طبيعي نظراً لمكانه الرسول منها ومن زوجها ومن سائر المسلمين، غير انها لم تكد تجيبه على سؤاله الخاص بدعوة الرسول إلى الدخول، حتى قال متسائلا: (فسمعتيه يقول شيئا؟)، وكان ذلك هو التمهيد الطبيعي الذي لا بد منه لما حكوه من قوله سبحان الله العظيم سبحان مصرف القلوب.

وانا نحس احساساً صادقاً بأن هذا السؤال مصنوع، فإن الناس لم يألفوا هذا الاسلوب في سؤال ازواجهم عن امثال هذه الزيارة، وانما يتساءلون عادة: الم يترك لي خبرا؟، الم يقل شيئا؟، وما شاكل ذلك، اما ان يكون السؤال عن سماعها فهذا هو الغريب؟ وبخاصة اذا ذكر معه ما اجروه على لسانها من انها سمعته حين ولى يقول: (سبحان الله العظيم سبحان الله مصرف القلوب).

الا تشم معي من هذا الاسلوب رائحة التلفيق؟؟؟؟

وهم رابعاً يتجلى كذبهم في اوضح صورة عندما يحكون قصة لقاء زيد لرسول الله ﷺ، وما دار بينهما في هذا اللقاء من حديث، فهم يدعون ان ما دار بينهما من الحديث كان هكذا:

(يا رسول الله، بلغني انك جئت منزلي، فهلا دخلت، بابي انت وامي، ثم اضاف متسائلا : فأفارقها؟

وهنا يجب ان نقف قليلا لنتساءل عن سر هذا الانتقال المفاجئ من الحديث، عن ذهاب الرسول اليه في منزله إلى عرض استعداده ان يفارق زوجه مكنياً عنها بضميرها.

اكل من زار انساناً في منزله فلم يجده يذهب اليه ذلك الانسان ليعرض عليه استعداده لفراق زوجه؟، ومن اجل ماذا؟، لنقرأ باقي الحديث كما تذكره الرواية:

سأل الرسول: أرابك منها شيء؟، فاجاب: لا والله يا رسول الله، ما رابني منها شيء، ولا رأيت الا خيراً، ولكنها تتعظم علي لشرفها،وان فيها كبراً، تؤذيني بلسانها، فقال الرسول: امسك عليك زوجك، وصدق المثل: يكاد المريب يقول خذوني، بل هنا قد قالها فعلاً، فقد حكوا ما كان من رجاء زيد ان يكون الرسول قد دخل بيته عندما زاره فلم يجده، وانه انتقل دون رابط إلى عرض فراق زينب على الرسول، ولما سأله الرسول عما كان يشك في شيء من تصرفاتها، بادر ينفي كل شيء، واكد انه لم ير

منها الا خيرا، ثم شكا تعظمها وتعاليها عليه بشرفها وكبرها، وتعييرها اياه بماضيه في الرق، واجاب رسول الله ﷺ على غرضه في حسم: (امسك عليك زوجك)؛ تعبيرا عن عدم اقتناعه ما ذكر من اسباب لفراقه اياها.

فلا مناسبة اذن لعرض استعداده لفراقها عقب حديثة عن ذهاب الرسول اليه في منزله، ما دامت اسباب الفراق لا صله لها بتلك الزيارة، وقول الرسول عند منصرفه منها: (سبحان الله مصرف القلوب)، كما زعموا او امر الرسول في نهاية الرواية لزيد بامساك زوجه عليه، يؤكد ان نفسه لم تطلع اليها، ولم ترغب فيها، فان رسول الله ﷺ لم يعرف من خلقة النفاق.

اما كون الآية قد صرحت بأنه في نفسه شيئا، فقد حدث هذه الشيء حين قالت: ﴿ما الله مبديه﴾، ولم يبد الله ان محمدا قد احب زينب، لكنه ابدى امر اخر كان محمدا يخشى الناس فيه، وهو الزواج من زينب مطلقة متبناه زيد، بعد ان امره الله به، ولا يقال ان هذا الزواج انما صدر الامر الإلهى به بسبب هذا الحب؛ لان الله عز وجل حدد الغاية من هـــذا الزواج حـين قـــال: ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾.

وهكذا يتضح ان هذه القصة كلها من الاسرائيليات، وان الذين لفقوها ارادوا بها النيل من محمد[1] ﷺ.

وقد امسك ابن كثير في تفسيره عن ذكر هذه القصة، وقال: (ذكر ابو حاتم وابن جرير ههنا اثارا عن بعض السلف رضي الله عنهم، احببنا أن نضرب عنها صفحا لعدم صحتها فلا توردها)، الّا انه رحمه الله لم يبين السبب في عدم صحتها، هل هو راجع إلى السند ام إلى المتن، واذا كان راجع إلى السند فينبغي عليه بيان من وضعها.

وقد بين فضيلة الاستاذ والعلامة المحقق الشيخ محمد ابو زهره في مقال له، نشره في مجلة لواء الاسلام من الذي وضعها، فقال: (ان هذه القصة من وضع يوحنا الدمشقي في العهد الاموي، فقد دس ذلك النصراني انه معنى الآية، ان النبيﷺ رأى زينب زوج زيد في حال اثارت عشقه، فعشقها واراد زواجها، فراجت تلك الفرية بين تابع التابعين انفسهم، حتى جاءت على لسان قتاده منسوبة اليه، وقبلها ابن جرير ولم يردها ابو بكر الرازي، فكانت بلا شك اعظم الافتراء، وهي تتجافى عن نسق الآية، وعن خلق النبي ﷺ، ولم يثبت في الصحاح شيء من هذا، ولم يثبت هذا التخريج لاحد من الصحابة بطريق يقبل مثله).

ومن العجيب ان نجد بعض من ينتسبون لأهل العلم ممن ليس لهم فقه في الدين ولا بسيرة الرسول ﷺ وأخلاقه، يقدسون كل ما يرويه ابن

([1]) الدكتور مصطفى زيد: سورة الاحزاب عرض وتفسير ص (141-160).

جرير، ويعتبرونه حجة، يروون هذه الرواية، وغيرها مما ورد في ابن جرير من الاسرائيليات.

اقول: هذه القصة التي ظهر بطلانها، وانها من الاسرائيليات التي يرويها ابن جرير الطبري باسانيدها واختلاف متونها، ولا ينبه على ما فيها من كذب وافتراء، تلقفها اعداء الاسلام من المستشرقين وغيرهم من الكافرين والمنافقين، واخذوا يشنعوا على الاسلام ورسول الاسلام محمد ﷺ، هجومهم والتشكيك بالديانة الاسلامية.

ولا يكفي في هذا المقام؛ الدحض ان يقتصر ابن جرير على ذكر السند في هذه القصة وامثالها من الاسرائيليات، اعتمادا على قول بعض علماء الحديث: (من أسند لك فقد حملك)؛ لان الكثير من الناس لا يعرفون من أمر الاسانيد شيئا.

ومن الناس من اذا رأى ابن جرير- على ماله من سمعه وصيت في تفسيره وفي كتابة التاريخ- يروي في تفسيره مثل هذه القصص، اخذه على انه حق، وصدق واستباح لنفسه ان يفعل مثل ما نسب إلى داود ومحمد عليهما السلام، ويقول: ان الانبياء يخطئون ويذنبون، فقد كان من امر محمد ﷺ مع زينب كذا وكذا، ومن امر داود عليه السلام مع امرأة آوريا كذا وكذا، فلم تلوموني على خطيئتي ولست نبيا؟.

اقول: وإذا كان سائغا عند البعض، من ابن جرير الطبري ان يعتذر عما اورده في تاريخه من الاسرائيليات والروايات الضعيفة والغير

صحيحة، بقوله: (ما يكون في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين، مما يستنكره قارئه او يستشنعه سامعه، من اجل انه لم يعرف له وجها في الصحة ولا معنى في الحقيقة، فليعلم انه لم يؤت ذلك من قبلنا، وانما اتى من قبل بعض ناقليه الينا، وانا انما ادياه على نحو ما ادي الينا)، فلا يكون سائغا باي وجه ان يعتذر بمثل هذا الاعتذار، عما اورده في تفسيره من غرائب واباطيل وخرافات كثيره لا يقبلها عقل انسان سوي سليم وان اسنده لأن تفسير كتاب الله ان يجنب عن كل مستنكر ومستقبح عقلا وشرعاً، بل كان ينبغي عليه ان لا يذكر في تاريخه ايضا هذه المناكير والخرافات من الموضوعات التي تشوه التاريخ الإسلامي، وتشكك المسلم في تاريخه ودينه ويكون مدعاة لاعداء الاسلام من المستشرقين والكافرين والمنافقين ان يستشهدوا بها للطعن في الاسلام بحجة ان ابن جرير الطبري قد اوردها في تاريخه او ان ابن جرير الطبري قد ذكرها في تفسيره ولم يطعن بصحتها، فيعتقد من ليس له علم في التاريخ او التفسير بصحة ذلك ولا يدري بانها من وضع الاسرائيليات ومن وضع الزنادقه، الذين تظاهروا بالاسلام واشتغلوا برواية الحديث وبتفسير القرآن بروايات وقصص قد اختلقوها، وأن ابن جرير هو ناقل وبضع ما أورده مجافي للصحة وللحقيقة على ما نقله إليه، وانه أداه نحو ما أُدي إليه!!!

ولا ينكر بان تفسير الطبري قد حوى كثيرا من الآثار القيمة في تفسير كتاب الله، إلا أنه حوى كثيراً من الروايات الاسرائيلية بسندها

وغير سندها، ولم يعقب عليها ويبين بطلانها، وإني أرى أنه من الواجب على الكليات الجامعية المتخصصة في التفسير والحديث وعلومهما، ان تقوم بتنقية تفسير ابن جرير، مما ورد فيه من الاسرائيليات واباطيل وخرافات، وذلك في توجيه الطلبة في رسائلهم الجامعية الماجستير والدكتوراه بالقيام بتحقيق بعض اجزاء من تفسير الطبري، لتنقيته من الاسرائيليات، وكذلك ينبغي على معاهد الابحاث والدراسات الاسلامية ان تقوم بذلك؛ ليتم النفع بتفسير ابن جرير، ومجردا مما فيه من الاسرائيليات والاباطيل والخرافات.

ومن اشهر كتب التفسير التي تروي الاسرائيليات باسانيدها، والتي لا يقبلها العقل ولا يقرها الشرع؛ لمعارضتها لبعض نصوص القرآن الكريم، تفسير ابن كثير، إلا انه غالبا ما يذكر بطلانها ويبينه من ذلك:

1- ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ **قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ** ﴾[1].

فقد ذكر ما روي في شأن هؤلاء القوم الجبارين، وهم الكنعانيون، حيث كانوا اقوياء اشداء، فذكر طولهم وهيئة اجسامهم، فينقل عن ابن جرير، فيقول: قال ابن جرير حدثني عبد الكريم بن الهيثم حدثنا ابراهيم بن بشار حدثنا سفيان، قال: قال أبو سعيد قال عكرمة ان ابن العباس،

(1) سورة المائدة (22).

قال: (امر موسى ان يدخل مدينة الجبارين، قال فسار موسى بمن معه حتى نزل قريبا من المدينة، وهي اريحا، فبعث اليهم اثنى عشر عينا، من كل سبط منهم عين لياتوه بخبر القوم، قال: فدخلوا المدينة، فرأوا امرا عظيما من هيئتهم وجسمهم وعظمهم، فدخلوا حائطا-اي بستانا- لبعضهم، فجاء صاحب الحائط ليجني الثمار من حائطه، فجعل يجني الثمار وينظر إلى اثارهم، فتتبعهم، فكلما أصاب واحداً منهم اخذه فجعله في كمه مع الفاكهة، حتى التقط الاثني عشر كلهم، فجعلهم في كمه مع الفاكهة، وذهب بهم إلى ملكهم فنشرهم بين يديه، فقال لهم الملك: قد رأيتم شاننا وامرنا، فاذهبوا فاخبروا صاحبكم، قالوا فرجعوا إلى موسى فاخبروه بما عاينوا من امرهم)، قال ابن كثير بعد ان ذكر هذه القصة الخرافية: وفي هذا الاسناد نظر وقال: (وقال علي ابن ابي طلحة عن ابن عباس، لما نزل موسى وقومه، بعث منهم اثني عشر رجلا، وهم النقباء الذين ذكرهم الله، فبعثهم ليأتوه بخبرهم، فساروا فليقيهم رجل من الجبارين، فجعلهم في كسائه، فحملهم حتى اتى بهم المدينة، ونادى في قومه، فاجتمعوا اليه، فقالوا: من أنتم؟، قالوا: نحن قوم موسى، بعثنا نأتيه بخبركم، فأعطوه حبة من عنب تكفي الرجل، فقالوا لهم : اذهبوا إلى موسى وقومه، فقولوا لهم هذا قدر فاكهتهم، فرجعوا إلى موسى، فأخبروه بما رأوه، فلما أمرهم موسى عيه السلام بالدخول عليهم وقتالهم قالوا: يا موسى اذهب انت وربك فقاتلا، انا ها هنا قاعدون)، رواه ابن ابي حاتم، ثم قال حدثنا ابي حدثنا ابن ابي مريم حدثنا يحيى بن ايوب، عن يزيد بن

الهادي حدثنا يحيى بن عبد الرحمن، (قال: رأيت انس بن مالك اخذ عصا، فذرع فيها بشيء لا ادري كم ذرع، ثم قاس بها في الارض خمسين او خمسا وخمسين، ثم قال: هكذا طول العمالیق)!!.

وقد ذكر كثير من المفسرين هنا اخبارا من وضع بني اسرائيل في عظمة خلق هؤلاء الجبارين، وان منهم عوج به عنق بنت ادم عليه السلام، وانه كان طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلاثمائة وثلاثة وثلاثون ذراعا وثلث ذراع تحرير الحساب، قال ابن كثير بعد ذكره لهذه الاباطيل والخرافات وهي منسوبة إلى ابن العباس، وهذا شيء يستحي من ذكره، ثم هو مخالف لما ثبت في الصحيحين، ان رسول الله ﷺ قال: (ان الله خلق ادم وطوله ستون، ثم لم يزل الخلق ينقص إلى الان)، ثم ذكروا ان هذا الرجل كان كافرا، وانه ولد زانية، وانه امتنع عن ركوب سفينة نوح، وان الطوفان لم يصل إلى ركبتيه، قال ابن كثير معلقا على هذه الاباطيل: وهذا كذب وافتراء، فان الله تعالى ذكر ان نوحا دعى على اهل الارض من الكافرين، فقال: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ ﴾ ، وقال تعالى: ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾، وقال تعالى: ﴿ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ﴾ ، واذا كان ابن نوح الكافر غرق، فكيف يبقى عوج بن عنق وهو كافر وولد زنية؟ وهذا لا يسوغ في عقل ولا شرع، ثم في وجود رجل يقال له عوج ابن عنق نظر، والله اعلم)[1].

(1) تفسير ابن كثير ج (2) ص (37) (38) طبعة دار احياء الكتب العربية.

2- ومن القصص الاسرائيلية الخرافية التي فيها الاعاجيب، ولا يقبلها العقل، ويرويها ابن كثير ويقول بعدم صحتها، ما رواه عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ﴾[1]، فقد روى قصص كثيرة في منتهى الغرابة عن سيدنا سليمان، وعن الجن وعن هاروت وماروت، وهي قصص خرافية لا يقبلها العقل السليم، وبلغ ما ذكره من هذه القصص الخرافية وسود بها تفسيره ما يقارب الخمس عشرة صفحة، وهي مختلفة ومتضاربة، وقال اثناء ذكره لهذه القصص: (وقد روى في قصة هاروت وماروت عن جماعة من التابعين كمجاهد والسدي والحسن البصري وقتاده وابي العالية والزهري والربيع بن انس ومقاتل بن حيان وغيرهم، وقصها خلق من المفسرين من المتقدمين والمتأخرين وحاصلها، راجع في تفصيلها إلى اخبار بني اسرائيل، اذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الاسناد، إلى الصادق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، وظاهر سياق القرآن اجمال القصة من غير بسط ولا طناب، فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على ما اراده الله تعالى، والله اعلم بحقيقة الحال)[2].

3- ومن الاسرائيليات التي نقلها ابن كثير وهي تمس المسلمين في عقيدتهم، قصة الغرانيق، فقد ذكرها ابـــن كثير عند تفسيره لقوله تعالى:

---

(1) سورة البقرة (102).

(2) انظر تفسير ابن كثير ج (1) ص (133-148).

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾[1].

قال ابن كثير: قد ذكر كثير من المفسرين ههنا قصة الغرانيق، وما كان من رجوع كثير من المهاجرة إلى ارض الحبشة، ظناً منهم ان مشركي قريش قد اسلموا، ولكنها من طرق كلها مرسلة، ولم ارها مسنده من وجه صحيح، والله اعلم، قال ابن ابي حاتم حدثنا يونس ابن حبيب، حدثنا ابو داود حدثنا شعبة عن ابي بشر، عن سعيد بن جبير، قال: (قرأ رسول الله ﷺ بمكة النجم، فلما بلغ هذا الموضع: ﴿ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ٢٠ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ ٢١ ﴾، قال فالقى الشيطان على لسانه: (تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهم ترتجي)، قالوا: ما ذكر الهتهم بخير قبل اليوم، فسجد فسجدوا، فانزل الله عز وجل هذه الآية ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾ ، ورواه ابن جرير عن بندار عن غندر، عن شعبة عن ابي بشر، عن سعيد بن جبير عن ابن العباس، فيما احسب ذلك في الحديث، ان النبيﷺ قرا بمكة سورة النجم، حتى انتهى الى: ﴿ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ﴾، وذكر بقيته، ثم قال البزاز لا نعلمه روي متصلا، الا بهذا الاسناد فقرر بوصله امية بن خالد

(1) سورة الحج (52).

وهو ثقة، وانما يروي هذا عن طريق الكلبي عن ابي صالح عن ابن العباس، ثم رواه ابن ابي حاتم عن ابي العالية، وعن السدي مرسلا، وكذا رواه ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي، ومحمد بن قيس مرسلا ايضا، وقال قتادة: كان النبي ﷺ يصلي عند المقام، اذ نعس فالقى الشيطان على لسانه: (وان شفاعتهم لترتجى وانها لمع الغرانيق العلى)، فحفظها المشركون، واجرى الشيطان على لسان النبي ﷺ فقراها وقد دلت بها السنتين: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيّٖ ... ﴾، الآية فدحر الله الشيطان....)، وذكر روايات كثيره كلها في سندها بعض من أعلن اسلامه من بني اسرائيل او النصارى او المجوس او المنافقين، وكان همهم روايات هذه الخرافات والاباطيل لافساد الدين الاسلامي، وجعله دين خرافة، وفي هذه الروايات التي ذكرها ابن كثير: (ان رسول الله ﷺ قد قرأ في السورة فسجدوا التعظيم آلهتهم، ففشت تلك الكلمة في الناس واظهرها الشيطان، حتى بلغت أرض الحبشة ومن بها من المسلمين عثمان بن مظعون وأصحابه، وتحدثوا ان اهل مكة قد اسلموا كلهم، وصلوا مع رسول الله ﷺ، وبلغهم سجود الوليد بن المغيرة على التراب على كفه، كما جاء في بعض الروايات التي نقلها ابن كثير، وحدثوا ان المسلمين قد آمنوا بمكة فأقبلوا سراعاً، وقد نسخ الله ما القى الشيطان، واحكم الله آياته وحفظه من الفرية...)، وذكر بعد ذلك روايات أخرى كلها سخف

وأباطيل من وضع الزنادقة، سود بها تفسيره، وكان الأولى به بعد إضافتها أن يبين بطلانها، ولا يكتفي بقوله: (بأنها من طرق كلها مرسلة ولم ارها مسنده من وجه صحيح والله اعلم).

وقد تصدى لبيان بطلانها علماء، منهم فضيلة الشيخ المرحوم محمد الخضري بك المفتش يوازه المعارف ومدرس التاريخ الاسلامي بجامعة القاهرة سابقا، ومن العلماء اصول الفقه فقال رحمه الله: (وقد اولع بعض المؤرخين بحكاية يجعلونها سببا في رجوع مما جرى الحبشة، وهي أنه بلغهم اسلام قومهم حينما قرأ عليهم الرسول سورة النجم، وتكلم فيها كلاما حسنا عن الهتهم، حيث قال بعد: ﴿ **أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ** ﴾، تلك الغرانيق والغرانيق جمع غرنوق، وهي الطيور ويراد بها الملائكة العلى، وان شفاعتهم لترتجى، فسجدوا إعظاماً لذلك وفرحاً، **وهذا مما لا تجوز روايته الا عن قليلي الادراك الذين ينقلون كل ما وجدوه غير متثبتين من صحته**، وها نحن اولاء نسوق لك ادلة النقل والعقل على بطلان ما ذكر:

اما الحديث فسنده ومتنه قلقان، فالسند قال فيه القاضي عياص في الشفاء لم يخرجه أحد من اهل الصحة، ولا رواه ثقة بسند سليم.

وأما المتن فليس أصحاب رسول الله ﷺ ولا المشركون مجانين حتى يسمعوا مدحاً اثناء ذم، ويجوز ذلك عليهم، فبعد ذكر الاصنام قال: ﴿ **إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ** ﴾، فالكلام غير

منتظم، ولو كان ذلك قد حصل لاتخذه الكفار حجة يحاجون بها وقت الخصام، وهم من تعرفهم من العناد فيما ليس فيه ادنى حجة فكيف بهذه؟؟، وليس ذلك القول اقل من تحويل القبلة إلى الكعبة، وهذا قالوا فيه ما قالوا حتى سماهم الله سفهاء وانزل منهم في سورة البقرة: ﴿ **سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ** ﴾ ولكن لم يسمع عن أي واحد من رجالاتهم والمتصدرين للعناد منهم ان قال: مالك ذممت آلهتنا بعد ان مدحتها، وكان ذلك أولى لهم من تجريد السيوف وبذل مهج الرجال.

على ان المؤرخين الذين ينقلون هذه العبارة ويجعلونها سببا لرجوع مهاجري الحبشة، يقولون اثناء كلامهم ان الهجرة كانت في رجب والرجوع كان في شوال ونزول سورة النجم كان في رمضان فالمدة بين نزول السورة ورجوع المهاجرين شهر واحد، والمتأمل أدنى تأمل يرى أن الشهر كان لا يكفي في ذلك الزمن للذهاب من مكة إلى الحبشة والإياب منها، لأنه لم يكن آنذاك مراكب تجارية تسهل السير في البحر ولا تلغراف يوصل خبر إسلام قريش لمن بالحبشة، فلا غرابة بعد ذلك ان قلنا ان هذه الخرافة من موضوعات أهل الأهواء الذين ابتلى الله بهم هذا الدين، ولكن الحمد لله فقد منّ علينا بحفظ كتابنا المجيد الذي يحكم بيننا، وبين كل مفترٍ كذاب، ففي السورة نفسها: ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ** ﴾، والذي بلغيه الشيطان من أقبح ما يروى، فكيف يقول عليه السلام أو يجرى على لسانه

مما يبث الشكوك في الوحي الآمر الذي يريده السفهاء رد الله كيدهم في نحرهم.

ولما رجع مهاجروا الحبشة إلى مكة، لم يتمكن من الدخول اليها الا من وجد له مجير، فدخل ابو سلمة في جوار خاله ابي طالب، ودخل عثمان بن مظعون في جوار الوليد بن مغيرة، وقد رد عليه جواره حينما رأى ما صنعه بالمسلمين، فلم ير ان يكون مرتاحا واخوانه معذبون).

كما تعرض لقصة الغرانيق الدكتور محمد حسنين هيكل في كتابة (حياه محمد)، وبين بطلانها وعدم صحتها، فبعد أن ذكر قصة الغرانيق قال: (هذا حديث الغرانيق رواه غير واحد عن كتاب السيرة، وأشار إليه غير واحد من المفسرين، ووقف عنده كثيرون من المستشرقين طويلا، وهو حديث ظاهرا التهافت ينقصه قليل من التحميص، وهو يعد حديث ينقض ما لكل نبي من العصمة في تبليغ رسالات ربه، فمن عجيب ان ياخذ به بعض كتاب السيرة وبعض المفسرين المسلمين، ولذلك لم يتردد ابن اسحاق حين سئل عنه في ان قال: انه من وضع الزنادقة، لكن بعض الذين اخذوا به حاولوا تسويقة، فاستندوا إلى الآيات: ﴿ **وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ** ﴾ ، وإلى قوله تعالى: ﴿ **وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم**

﴿مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾﴾، ويفسر بعضهم كلمة تمنى في الآية بمعنى قرأ، ويفسرها آخرون بمعنى الأمنية المعروفة، ويذهب هؤلاء وأولئك ويتابعهم المستشرقون إلى أن النبي بلغ منه أذى المشركين أصحابه، إذ كانوا يقتلون بعضهم ويُلقون بعضاً في الصحراء يلفحهم لظى الشمس المحرقة، وقد أوقروهم بالحجارة، كما فعلوا ببلال حتى اضطر إلى الإذن لهم في الهجرة إلى الحبشة.

كما بلغ منه جفاء قومه اياه واعراضهم عنه، ولما كان حريصا على اسلامهم ونجاتهم من عباده الاصنام، تقرب اليهم وتلا سورة النجم واضاف اليها حكايه الغرانيق، فلما سجد سجدوا معه، واظهروا له الميل لاتباعه ما دام قد جعل لالهتهم نصيبا مع الله.

ويضيف (سير وليم موير) إلى هذه الرواية التي وردت في بعض كتب السيرة وكتب التفسير، حجة يراها قاطعة بصحة حديث الغرانيق، ذلك أن المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة، لم يك قد مضى على هجرتهم اليها غير ثلاثة، اشهر اجارهم النجاشي اثناءها واحسن جوارهم، فلو لم يكن قد ترامى اليهم خبر الصلح بين محمد وقريش، لما دفعهم دافع إلى العود، حرصا على الاتصال بأهلهم وعشائرهم، وانى يكون الصلح بين محمد وقريش إذا لم يسع محمد اليه، وقد كان في مكة أقل نفراً وأضعف

قوة، وقد كان أصحابه أعجز من أن يمنعوا أنفسهم من أذى قريش ومن تعذيبهم إياهم.

وقد رد على أدلة من قال بصحة قصة الغرانيق، ثم استدل على بطلانها فقال:

(هذه هي حجج التي يسوقها من يقولون بصحة حديث الغرانيق، وهي حجج واهية لا تقوم امام التمحيص، ونبدأ بدفع حجة المستشرق موير.

فالمسلمون الذين عادوا من الحبشة، انما دفعهم إلى العود إلى مكة سببان:

أولهما: أن عمر بن الخطاب أسلم بعد هجرتهم بقليل، وقد دخل عمر في دين الله بالحمية التي كان يحاربه من قبل بها، لم يخف اسلامه ولم يستتر، بل ذهب يعلنه على رؤوس الملأ ويقاتلهم في سبيله، ولم يرضَ عن استخفاء المسلمين وتسللهم إلى شعاب مكة، يقيمون الصلاة بعيدين عن أذى قريش، بل دأب إلى نضال قريش حتى صلى عند الكعبة وصلى المسلمون معه، هنالك أيقنت قريش أن ما تنال به محمدا واصحابه من الأذى يوشك أن يثير حرباً أهلية، لا يعرف احد مداها ولا على من تدور دائرتها.

فقد أسلم من مختلف قبائل قريش وبيوتها رجال تثور لقتل أي واحد منهم قبيلته، وإن كانت على غير دينه فلا مفر إذاً من الالتجاء في

محاربة محمد، إلى وسيلة لا يترتب عليها هذا الخطر، وإلى أن تتفق قريش على هذه الوسيلة، هادنت المسلمين فلم تنل احداً منهم بأذى، وهذا هو ما اتصل بالمهاجرين إلى الحبشة ودعاهم إلى التفكير في العود إلى مكة، وربما ترددوا في هذا العود لو لم يكن السبب الثاني الذي ثبت عزمهم.

السبب الثاني: ذلك ان الحبشة شبّت بها يومئذ ثورة على النجاشي، كان دينة، وكان ما أبدى من عطف على المسلمين بعض ما أُذيع منها من تهم وجهت إليه، ولقد أبدى المسلمون أحسن الأماني أن ينصر الله النجاشي على خصومة، لكنهم لم يكونوا ليشاركوا في هذه الثورة وهم أجانب، ولم يكن قد مضى على مقامهم في الحبشة غير زمن قليل، اما وقد ترامت اليهم انباء الهدنة بين محمد وقريش، هدنة انجت المسلمين مما كان يصيبهم من الاذى، فخير لهم ان يدعوا الفتنة وراء ظهورهم وان يلحقوا بأهليهم، وهذا ما فعلوه كلهم او بعضهم، على انهم ما كادوا يبلغون مكة، حتى كانت قريش قد ائتمرت ما تصنع بمحمد وأصحابه، واتفقت عشائرها وكتبوا كتاباً تعاقدوا فيه على مقاطعة بني هاشم مقاطعة تامة، فلا ينكحوا اليهم ولا ينكحوهم، ولا يبيعوهم ولا يبتاعوا منهم، وبهذا الكتاب عادت الحرب العوان بين الفريقين، ورجع الذين عادوا من الحبشة، وذهب معهم من استطاع اللحاق بهم، وقد وجدوا هذه المرة عنتا من قريش اذ حاولت ان تمنعهم من الهجرة.

ليس الصلح الذي يشير إليه المستشرق موير هو ذا الذي دعا المسلمين إلى العودة من بلاد الحبشة، إنما دعاهم هذه الهدنة التي حدثت على أثر إسلام عمر وحماسته في تأييد دين الله، فتأييد حديث الغرانيق اذا بحجة الصلح تأييد غير ناهض.

ورد على احتجاج المحتجين من كتاب السيرة والمفسرين بالآيات، فبين انه احتجاج مقلوب حيث قال:

أما احتجاج المحتجين من كتاب السيرة والمفسرين بالآيات: ﴿ **وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ** ﴾ وقال تعالى: ﴿ **وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ** ﴾، فهو احتجاج اشد تهافتا من حجة السير موير، ويكفي ان نذكر من الآيات الاولى قوله تعالى: ﴿ **وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾** ﴾، لنرى انه ان كان الشيطان قد القى في امنيته الرسول، حتى لقد كاد يركن اليهم شيئا قليلا، فقد ثبته الله فلم يفعل، ولو انه فعل لاذاقه الله ضعف الحياة وضعف الممات.

وإذاً فالاحتجاج بهذه الآيات احتجاج مقلوب، فقصة الغرانيق تجرى بأن محمدا ركن إلى قريش بالفعل، وان قريشاً فتنته بالفعل فقال على الله ما لم يقل، والآيات هنا تفيد ان الله ثبته، فلم يفعل.

فإذا ذكرت كذلك ان كتب التفسير واسباب النزول، جعلت لهذه الآيات موضعا غير مسالة الغرانيق، رأيت ان الاحتجاج بها في مسالة تتنافى مع عصمة الرسل في تبليغ رسالاتهم، وتتنافى مع تاريخ محمد كله احتجاج متهافت، بل احتجاج سقيم.

اما الآيات: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ ﴾ ، فلا صله لها بحديث الغرانيق البته، فضلا عن ذكرها ان الله ينسخ ما يلقي الشيطان، ويجعل فتنة للذين في قلوبهم مرض ومن القاسية قلوبهم، ويحكم الله آياته والله عليم حكيم).

وبين بعد ذلك تهافت القصة علمياً، فقال:

(وندع هذا إلى تمحيص القصة التمحيص العلمي، الذي يثبت عدم صحتها، وأول ما يدل على ذلك تعدد الروايات فيها، فقد رويت كما سبق القول على أنها: (تلك الغرانيق العلا، وأن شفاعتهم لترتجى)، ورواها بعضهم: (الغرانقة العلا إنّ شفاعتهم ترتجى، وروى آخرون: (ان شفاعتهن لهي التي ترتجى)، وقد وردت في بعض كتب الحديث روايات اخرى غير هذه الروايات الخمس، وهذا التعدد في الروايات يدل على ان الحديث موضوع، وانه من وضع الزنادقة، كما قال ابن اسحاق: وان الغرض منه التشكيك في صدق تبليغ محمد رسالات ربه).

وذكر بعد ذلك دليل آخر أقوى واقطع، وهو سياق سور النجم وبين بأنه يأباها، فقال: (ودليل آخر أقوى واقطع، وهو سياق سورة

النجم، وعدم احتماله لمسالة الغرانيق، فالسياق يجري بقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ ﴾.

وهذا السياق صريح في أن اللات والعزى أسماء سماها المشركون هم اباؤهم، ما انزل الله بها من سلطان، فكيف يحتمل ان يجري السياق بما ياتي: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾ تلك الغرانيق العلا ان شفاعتهم لترتجى ﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ﴾، ان في هذا السياق من الفساد والاضطراب والتناقض، ومن مدح اللات والعزى ومنات الثالثة الاخرى، وذمها في اربع آيات متعاقبة ما لا يسلم به عقل ولا يقول به انسان، ولا تبقى معه شبهه في ان حديث الغرانيق مفترى وضعه الزنادقة لغاياتهم، وصدفة من يسيغون كل غريب، ومن تقبل عقولهم ما لا يسيغ العقل المنطقي.

وحجة أخرى ساقها المغفور له الأستاذ الشيخ محمد عبده، حين كتب ينقد قصة الغرانيق، تلك أن وصف العرب لآلهتهم بأنها غرانيق، لم يرد في نظمهم ولا في خطبهم، ولم ينقل عن أحد أن ذلك الوصف كان جاريا على السنتهم، وانما ورد الغرنوق والغرنيق على انه اسم لطائر مائي

أسود أو أبيض والشاب الابيض الجميل، ولا شيء من ذلك يلائم معنى الآلهة او وصفها عند العرب.

بقيت حجة قاطعة نسوقها للدلالة على استحالة قصة الغرانيق، هذه من حياة محمد نفسه، فهو منذ طفولته وصباه وشبابه لم يعرب عليه الكذب قط، حتى سمي الامين، ولما يبلغ الخامسة والعشرين من عمره، وكان صدقه أمراً مسلماً به عند الناس جميعا، حتى لقد سأل قريشاً يوماً بعد بعثة: (أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل كنتم تصدقوني)، فكان جوابهم: نعم، انت عندنا غير متهم، وما جربنا عليك كذباً قط، فالرجل الذي عرف بالصدق في صلاته بالناس منذ نعومة أظفاره إلى كهولته، كيف يصدق إنسان أنه يقول على ربه ما لم يقل، ويخشى الناس والله أحق أن يخشاه، هذا أمر مستحيل يدرك استحالته الذين درسوا هذه النفوس القوية الممتازة، التي تعرف الصلابة في الحق، ولا تداجى فيه لاي اعتبار، وكيف نرى يقول محمد: لو وضعت قريش الشمس في يمينه، والقمر في شماله، على ان يترك هذا الامر او يموت دونه، ما فعل، ثم يقول على الله ما لم يوح إليه، ويقوله لينقض به أساس الدين الذي بعثة الله به هدى وبشرى للعالمين!

ومتى رجع إلى قريش ليمدح الهتهم بعد عشر سنوات او نحوها من بعثة، وبعد ان احتمل هو وأصحابه في سبيل الرسالة من ألوان الاذى

وصنوف التضحية ما احتمل، وبعد أن أعز الله الإسلام بحمزة وعمر، وبعد ان بدأ المسلمون يصبحون قوة بمكة ويمتد خبرهم إلى بلاد العرب كلها، وإلى الحبشة وإلى مختلف نواحي العالم.

ان القول بذلك حديث خرافة واكذوبة ممجوجة، ولقد شعر الذين اخترعوها بسهوله افتضاحها، فأرادوا سترها بقولهم: أن محمدا ما كاد ينسى كلام قريش اذ جعل لآلهتهم نصيباً في الشفاعة، حتى كبر ذلك عليه، وحتى رجع إلى الله تائباً أول ما أمسى ببيته، وجاءه جبريل فيه لكن هذا الستر أحرى أن يفضحها، فما دام الأمر قد كان كبر على محمد منذ سمع مقاله قريش، فما كان أحراه ان يراجع الوحي لساعته؛ وما كان أحراه أن يجري الوحي الصواب على لسانه! واذا فلا أصل لمسألة الغرانيق إلا الوضع والاختراع، قامت بهما طائفة الذين أخذوا انفسهم بالكيد للاسلام بعد انقضاء الصدر الاول.

واعجب ما في جرأة هؤلاء المفترين أنهم عرضوا للافتراء في ام مسائل الاسلام جميعا، في التوحيد في المسالة التي بعث محمد لتبليغها للناس منذ اللحظة الاولى، والتي لم يقبل فيها منذ تلك اللحظة هوادة، ولا أمالة عنها ما عرضت عليه قريش أن يعطوه ما يشاء من المال، او يجعلوه ملكاً عليهم، وعرضوا ذلك عليه حين لم يكن قد تبعه من أهل

مكة إلا عدد يسير، وما كان أذى قريش لأصحابه ليجعله يرجع عن دعوة امره ربه ان يبلغها للناس.

فاختبار المفترين لهذه المسالة التي كانت صلابة محمد فيها غاية ما عرفت عنه من الصلابة، يدل على جرأة غير معقولة، ويدل في الوقت نفسه على ان الذين مالوا إلى تصديقهم قد خُدعوا فيما لا يجوز أن يخدع فيه أحد.

لا أصل إذاً لمسالة الغرانيق على الإطلاق، ولا صله البته بينها وبين عودة المسلمين من الحبشة، انما عادوا كما قدمنا بعد ان أسلم عمر، ونصر الإسلام بمثل الحمية التي كان يحاربه من قبل بها، حتى اضطرت قريش لمهادنة المسلمين، وعادوا حين شبت في بلاد الحبشة ثورة خافوا مغبتها، فلما علمت قريش بعودتهم، ازدادت مخاوفهم أن يعظم أمر محمد بينهم، فأتمرت ما تصنع، وقد انتهت بوضع الصحيفة التي قرروا فيها فيما قرروا، ألا يناكحوا بني هاشم ولا يبايعونهم ولا يخالطونهم، كما أجمعوا فيما بينهم أن يقتلوا محمداً إن استطاعوا.

أقول: مما سبق ظهر لكل ذي لب عدم صحة قصة الغرانيق وتهافتها علميا، وان سياق سورة النجم يأباها، وهي افتراء على التوحيد الذي بعث به النبي محمدﷺ، فلذلك قال فضيلة الشيخ محمد الخضري استاذ التاريخ الاسلامي في جامعة القاهرة رضي الله عنه، في نقده لهذه القصة

ونقده لمن رواها من المؤرخين والمحدثين والمفسرين، كابن سعد في طبقاته الكبرى، والطبري في تاريخ الرسل والملوك، وفي كتب التفسير، كتفسير مقاتل بن سليمان، وتفسير الخازن ما نصه: (هذا مما لا يجوز روايته الا عن قليلي الادراك، الذين ينقلون كل ما وجدوه غير متثبتين من صحته).

فرواية ابن كثير لقصة الغرانيق بطرقها المختلفة، وقوله بأنها كلها جاءت من طرق كلها مرسلة ولم أرها سنده بوجه صحيح، وكان الأولى به أن يضرب عن ذكرها فلا يوردها؛ لأن ذكره لها مع عدم بيان أسماء الواضعين لها ممن تظاهروا بالاسلام من بني اسرائيل وروها، بالاكتفاء بقوله أنها من أخبار بني اسرائيل، أو أنها غير صحيحة لا تفيد شيئاً.

بل ان رواية هذه الروايات الاسرائيلية من قبيل تضييع الاوقات فيما لا فائدة فيه، ويمل القارئ من جراء قراءتها، ويصرفه عن فهم كتاب الله والتدبر في معانية.

ومن العجيب أن نرى ابن كثير يذكر احياناً في تفسيره بعض الروايات الغريبة التي لا يقبلها عقل، ولا يعقب عليها ولا بكلمة واحده، رغم تحذيره الشديد في مواطن كثيرة من تفسيره من رواية مثل هذه الاسرائيليات، وهو القائل في تفسيره وقد أكثر كثير من السلف من المفسرين وكذا طائفة كثيرة من الخلف من الحكاية عن كثب أهل الكتاب في تفسير القرآن المجيد وليس بهم احتياج إلى أخبارهم ولله الحمد والمنة:

وفيما نقله في تفسيره عن الإسرائيليات:

1- عند تفسيره لقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾[1].

قال ابن كثير في تفسيره هذه الآية، هذا الذي حاج ابراهيم في ربه هو ملك بابل نمرود بن كنعان بن كوس بن سام بن نوح، ويقال نمرود بن فالح بن عامر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح، والأولى قول مجاهد وغيره، قال مجاهد: وملك الدنيا مشارقها ومغاربها أربعة، مؤمنان وكافران، فالمؤمنان سليمان بن داود وذو القرنين، والكافران نمرود وبختنصر والله اعلم.

وبعد ان شرح الآية قال: (وروى عبد الرزاق عن معمر عن زيد بن اسلم ان النمرود كان عنده طعام، وكان الناس يغدون اليه للميرة، فوفد ابراهيم في جمله من وفد للميرة، فكان بينهما هذه المناظرة- وهي التي ورد ذكرها في الآية-، ولم يعط ابراهيم من الطعام كما أعطى الناس، بل خرج وليس معه شيء من الطعام، فلما قرب من أهله عمد إلى كثيب من تراب، فملا منه عدليه، وقال: اشغل أهلي عني اذا قدمت عليهم، فلما قدم وضع رحاله، وجاء فاتكأ فنام، فقامت امرأته ساره إلى العدلين، فوجدتهما

(1) سورة البقرة (258).

ملاءتين طعاماً طيباً، فعملت طعاماً، فلما استيقظ ابراهيم وجد الذي قد أصلحوه، فقال: أنى لكم هذا؟، قالت: من الذي جئت به، فعلم أنه رزق رزقهم الله عز وجل)، قال زيد بن أسلم: وبعث الله إلى ذلك الجبار ملكاً يأمره بالإيمان بالله فأبى عليه، ثم دعاه الثانية فأبى، ثم الثالثة فأبى، وقال: اجمع جموعك واجمع جموعي، فجمع النمرود جيشه وجنوده وقت طلوع الشمس، وأرسل الله عليهم باباً من البعوض، بحيث لم يروا عين الشمس، وسلطها الله عليهم، فأكلت لحومهم ودمائهم وتركتهم عظاماً بادية، ودخلت واحدة منها في منخري الملك، فمكثت في منخري الملك أربعمائة سنة عذبه الله بها، فكان يضرب برأسه بالمزراب في هذه المدة، حتى أهلكه الله بها!![1].

2- وعند تفسيره لقوله تعالى في سورة طه: ﴿ **فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ** ﴾، قال ما نصه: قال ابن أبي حاتم، حدثنا أبي حدثنا أحمد بن عبده، حدثنا حفص بن جمي، حدثنا سماك عن عكرمة عن ابن العباس، ﴿ **فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ** ﴾ ، ولم تكن قبل ذلك حية، فمرت بشجرة فأكلتها، ومرت بصخرة فابتلعتها، فجعل موسى يسمع وقع الصخرة في جوفها، فولى مدبراً، ونودي يا موسى خذها، ثم نودي الثانية أن خذها ولا تخف، فقيل له في الثالثة: إنك من الأمنين فأخذها؟، وقال: وقال

(1) تفسير ابن كثير ج (1) ص (313).

وهب بن منبه في قوله: ﴿ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴾ ، قال فألقاها على وجه الأرض، ثم حانت منه نظرة فإذا بأعظم ثعبان نظر إليه الناظرون، بدب يلتمس كأنه يبتغي شيئاً يريد أخذه، يمر بالصخرة مثل الخلفة من الإبل فيلتقمها، ويطعن بالناب من أنيابه في أصل الشجرة العظيمة، فيجتثها، عيناه تتقدان ناراً، وقد عاد المجحن منها عرفا، قيل: شعره مثل النيازك، وعاد الشعبتان غما مثل القليب الواسع فيه أضراس وأنياب لها صريف، فلما عاين ذلك موسى ولى مدبراً ولم يعقب، فذهب حتى أمعن ورأى أنه قد أعجز الحية، ثم ذكر ربه فوقف استحياء منه، ثم نودي يا موسى أن ارجع حيث كنت، فرجـــع موسى وهو شديد الخوف، فقال: ﴿ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴾، وعلى موسى حينئذ مدرعة من صوف، فدخلها بخلال من عيدان، فلما أمره بأخذها لف طرف المدرعة على يده، فقال له ملك: أرأيت يا موسى لو أذن الله بما تحاذر، أكانت المدرعة تغني عنك شيئاً؟، قال: لا، لكني ضعيف، ومن الضعف خلقت، فكشف عن يده ثم وضعها على فم الحية، حتى سمع حس الأضراس والأنياب، ثم قبض فإذا هي عصاه التي عهدها، وإذا يده في موضعها الذي كان يضعها إذا توكأ بين الشعبتين، ولهذا قال تعالى: ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴾، أي إلى حالتها التي تعرف من قبل ذلك).

وهكذا يروي ابن كثير هذه القصص الاسرائيلية في تفسير الآية الأولى والآية الثانية، ولم يعقب عليها ولا بكلمة واحده، ويبدوا أنه

ارتضاها في تفسير هاتين الآيتين، وكان الواجب عليه أن ينقد هذه الروايات من حيث السند ومن حيث المتن ليبين بطلانها؛ حتى لا ينخدع بهذه الروايات بعض من ينسب إلى أهل العلم، فيروونها عند تفسيرهم لهذه الآيات، فيضللون بها العامة، كما أن في روايته مثل هذه الاسرائيليات ينقلها المستشرقون وأعداء الإسلام، فيزعمون أن الإسلام دين خرافة وأباطيل لا يقبلها العقل، والإسلام يرى من هذه القصص الخرافية التي رواها بنوا اسرائيل وبعض الفرس والروم الذين اعتنقوا الاسلام ظاهراً، ونقلها إلينا علماء التفسير وعلماء الحديث.

3- ومن كتب التفسير المشهورة، والتي حوت كثيراً من الاسرائيليات، تفسير القرطبي مما سود به تفسيره من الترهات والأباطيل التي لا أصل لها، وكلها نسيج عقول ضالة، وخيالات جماعات مضلله من بني اسرائيل، وغيرهم من الزنادقة والمنافقين، حتى يشوهوا الإسلام ويصورونه دين خرافي، ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ **ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ** ﴾ ، قال يروي: (إن حمله العرش أرجلهم في الأرض السفلى، ورؤوسهم قد خرقت العرش، وهم خشوع لا يرفعون طرفهم، وهم أشراف الملائكة وأفضلهم، ففي الحديث: (ان الله تبارك وتعالى أمر جميع الملائكة أن يغدوا ويروحوا بالإسلام على حمله العرش، تفضيلاً لهم على سائر الملائكة)، ويقال: (خلق الله العرش من جوهرة خضراءا وبين القائمتين من قوائمه خفقان

الطير المسرع ثمانية ألف عام، وقيل: (حول العرش سبعون ألف صف من الملائكة، يطوفون به مهللين مكبرين، ومن ورائهم سبعون ألف صف قيام، وقد وضعوا أيديهم على عواتقهم، ورافعين أصواتهم بالتهليل والتكبير، ومن ورائهم مائة ألف صف، وقد وضعوا الايمان على الشمائل، ما منهم أحد الا وهو يسبح بما لا يسبح به الاخر).

وذكر عند تفسيره لهذه الآية أيضاً: (وروى ابن طهمان عن موسى بن عقبة، عن محمد بن المتكدر، عن جابر بن عبد الله الانصاري قال، قال رسول الله ﷺ: (أذن لي أن أحدث عن ملك من الملائكة الله من حمله العرش، ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسير سبعمائة عام)، وقال: (وروي ثور بن يزيد عن خالد بن معدان، عن يحيى كعب الاحبار أنه قال: (لما خلق الله تعالى العرش قال: لمن يخلق الله أعظم مني فاهتز فطوقه الله بحيه، وللحية سبعون الف جناح، في الجناح سبعون الف ريشة، في كل ريشه سبعون ألف وجه، في كل وجه سبعون الف فم، في كل فم سبعون الف لسان، يخرج من افواهها في كل يوم من التسبيح عدد قطر المطر، وعدد ورق الشجر، وعدد الحصى والثرى، وعدد ايام الدنيا، وعدد الملائكة اجمعين، فالتوت الحية بالعرش، فالعرش إلى نصف الحية وهي ملتوية به)، وقال مجاهد: (بين السماء السابعة مربين العرش سبعون ألف حجاب، حجاب نور وحجاب ظلمة، وحجاب نور وحجاب ظلمة).

4- ومن التفاسير التي جاءت مليئة بالاسرائيليات ومشحونة بالخرافات، تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، وهو اكثر التفاسير - فيما يعلم - حشوا لتفسيره بالخرافات والأباطيل، مما يمس العقيدة ولا يتفق مع اصول الشريعة الاسلامية.

من ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴾، قال الخازن وهو علاء الدين ابو الحسن علي بن محمد بن ابراهيم الشيخي: قال وهب بن منبه كان ايوب رجلا من الروم، وهو ايوب بن اموس ابن تارخ بن روم بن عيص بن اسحاق بن ابراهيم، وكانت أمه من ولد لوط بن هاران، وكان الله قد اصطفاه ونباه وبسط له الدنيا، وكانت له البثينة من أرض البلقاء، من أعمال خوارزمان مع أرض الشام كلها، سهلها وجبلها، وكان لله فيها من أصناف المال كله، من الإبل والبقر والغنم والخيل والحمير، ما لا يكون لرجل أفضل منه في العدد والكثرة، وكان له خمسمائة فدان، يتبعها خمسمائة عير، لكل عبد امرأة وولد ومال، ويحمل له اله كل فدان اتان، لكل اتان من الولد اثنان او ثلاث او اربع او خمس وفوق ذلك، وكان الله تعالى قد أعطاه أهلاً وولداً من رجال ونساء، وكان برا تقيا، رحيما بالمساكين يطعمهم، ويكفل الايتام والارامل، ويكرم الضيف ويبلغ ابن السبيل، وكان شاكراً لأنعم الله مؤدياً لحق الله، قد امتنع من

عدو الله ابليس ان يصيب منه ما يصيب من اهل الغنى من العزة والغفلة والتشاغل عن أمر الله، بما هو فيه من امر الدنيا.

وكان ابليس لا يحجب عن شيء من السماوات، وكان يقف فيهن حيثما اراد، حتى رفع الله عيسى، فحجب عن اربع، فلما بعث محمد ﷺ حجب عن السماوات كلها، الا من استرق السمع، فسمع ابليس تجاوب الملائكة بالصلاة على أيوب، وذلك حين ذكره الله واثنى عليه، فأدرك ابليس الحسد والبغض، فصعد سريعاً حتى وقف من السماء حيث كان يقف، وقال: إلهي نظرت في أمر عبدك أيوب، فوجدته عبداً أنعمت عليه فشكرك، وعاقبته فحمدك، ولو ابتليته بنزع ما اعطيته بحال عما هو عليه من شكرك وعبادتك وتخرج من طاعتك، قال الله تعالى: انطلق فقد سلطتك على ماله، فانقص عدو الله، حتى وقع على الارض، فجمع عفاريت الجن ومردة الشياطين، وقال لهم: ماذا عندكم من القوة، فقد سلطت على مال ايوب، وهو المصيبة القادحة، والفتنة التي لا تصبر عليها الرجال).

ثم ذكر اقوالا غريبة في افناء مال ايوب عقبها بقوله: (فلما رأى ابليس انه قد افنى ماله ولم ينج منه شيء، صعد سريعا حتى وقف الموقف الذي يفق فيه، وسال الله إن يسلطه على ولده، فقال الله له: انطلق فقد سلطتك على ولده، وذكر ما كان من بلاء وعذاب وهلاك وقع بولده، وأن إبليس جاء إلى أيوب بعد ذلك وقال له: لو رأيت بنيك كيف عذبوا،

وكيف انقلبوا منكوسين على رؤوسهم، تسيل دماؤهم وادمغتهم، ولو رأيت كيف شققت بطونهم، فتناثرت أمعائهم، لتقطع قلبك عليهم، فبكى ايوب وقبض قبضة من التراب، فوضعها على رأسه وقال: ليت امي لم تلدني، ثم لم يلبث ان تاب إلى ربه، فوقف ابليس خاسئاً ذليلاً، وسأل الله ان يسلطه على جسد أيوب، فقال له عز وجل: انطلق فقد سلطتك على جسده، ولكن ليس لك سلطان على لسانه وقلبه وعقله.

فانقض عدو الله إبليس سريعاً، فوجد أيوب ساجداً، فعجل قبل أن يرفع رأسه، فأتاه من قبل وجهه، فنفخ في منخره نفخة اشتعل فيها جسده، فخرج من قدمه إلى قدمه تآليل مثل البات الغنم، ووقعت فيه حكة، فحك بأظافره حتى سقطت كلها، ثم حكها بالمسوح الخشنة حتى قطعها، ثم حكها بالفخار والحجارة الخشنة، حتى قرح لحمة وتقطع وتغير وانتهى، فاخرجه أهل القرية حتى جعلوه على كناسه لهم، وجعلوا له عريشة، ورفضه خلق الله كلهم غير امرأته)، ثم ذكر كلاما طويلاً في حوار ايوب مع بعض خلصائه، وفي تضرعه إلى الله أن يكشف عنه ما به من بلاء وضر، وما كان من كلام الله له، وكشفه الضر عنه، ثم نقل عن الحسن: (ان ايوب مكث مطروحا على على كناسة لبني اسرائيل سبع سنين واشهر، يختلف فيه الدود ولا يقربه احد غير رحمه – أي زوجته –، ثم ان صبر ايوب على بلائه أعيى ابليس، فاستشار أعوانه، فاشاروا عليه

أن يأتيه من قبل زوجته، فانطلق ابليس حتى أتى رحمه – امرأة – أيوب، فتمثل لها في صورة رجل وقال لها: أين بعلك يا أمة الله؟، قالت: هو ذاك، يحك قروحه، ويرد الديدان في جسده، فأخذ يوسوس لها، ويذكرها بجمال أيوب وشبابه، وما هو فيه من الضر، وان ذلك لا ينقطع عنه ابداً، فصرخت، فعلم أنها قد جزعت، فأتاها بسخلة وقال: ليذبح لي هذه أيوب ويرى، فجاءت تصرخ يا أيوب، حتى متى يعذبك الله؟، أين المال، أين الولد، أين الصديق، أين لونك الحسن، أين جسمك الحسن، اذبح هذه السخلة واسترح، فقال لها أيوب: أتاك عدو الله فنفخ فيك، ويلك والله لئن شافاني الله، لأجلدنك مائة جلده، أمرتيني أن اذبح لغير الله ...)، إلى آخر القصة.

اقول: هذا مثال من القصص الخرافية، وهي تظهر لكل ذي لب بأنه موضوعه مكذوبة دست على تفسير كتاب الله تعالى والعجيب أن الخازن يذكر هذه القصة ثم لم يعقب عليها بأية كلمة تشعر بتكذيبه لها، أو الشك في صحتها، وتفسير الخازن قد حوى معظم ما في تفسير البغوي، وتفسير الثعلبي وتفسير مقاتل بن سليمان من قصص خرافية واباطيل، لا يصدقها عقل ويستنكرها الشرع.

والذي دفع هؤلاء المفسرين في تسويد صفحات تفاسيرهم، كابن جرير القرطبي وابن كثير والقرطبي والخازن وغيرهم، ممن عرفوا

بالتفسير بالمأثور، هو ان القرآن الكريم ذكر قصص الانبياء السابقين مع امهم، وخاصة أنبياء بني اسرائيل، وقد ذكرها مجمله غير مفصله، وذلك للعظة والاعتبار، ولم يدخل في الجزئيات.

والتفصيلات لانه لا فائدة منها، وكانت نفوس بعض الصحابة تميل إلى معرفة هذه التفاصيل، فيلقون بعض من اسلم من اهل الكتاب، فيسألونهم عما تشوقت نفوسهم اليه، فيجيبونهم بما يعرفونه من ذلك، وكان ذلك على نطاق ضيق، وكانوا ياخذون عنهم من جزئيات الحوادث التي تعرضت لها كتبهم بتفصيل، وعرض لها القرآن الكريم بايجاز واجمال.

أشهر من عرف من الصحابة بالرجوع إلى اهل الكتاب والرواية عنهم، ابو هريرة وعبد الله بن عمرو بن العاص، وكانوا كثيرا ما يلجئون لمعرفة ذلك إلى كعب الاحبار اليهودي، والذي اعلن اسلامه في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وإلى وهب بن منبه وغيرهم من مسلمة اهل الكتاب، بناء على احاديث رويت عن رسول الله ﷺ في جواز الرواية عنهم، وقد ذكر ابن تيميه أن عبد الله ابن عمرو ابن العاص اصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب اهل الكتاب، فكان يحدث منهما.

إلا أن معظم الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يرون عدم صحة هذه الاحاديث، بناء على ان في القرآن الكريم من الآيات الدالة، على ان اليهود والنصارى بدلوا كتبهم وحرفوها واخفوا الكثير منها، مما اذهب

الثقة بهم وبما يحدثون به منها، وبديهي ان من لا يوثق به لا تجوز روايته، ومن الآيات التي استدلوا بها على ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ ﴾[1]، وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ﴾[2]. وقوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ﴾ [3].

وكذلك روى البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: (يا معشر المسلمين كيف تسألون اهل الكتاب، وكتابكم الذي انزل الله على نبيه ﷺ احدث الاخبار بالله، تقرءونه لم يشب، وقد حدثكم الله ان اهل الكتاب بدلوا ما كتب الله، غيروا بايديهم الكتاب، فقالوا: هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا، افلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم؟، ولا والله ما رأينا رجلا منهم قط يسألكم عن الذي انزل عليكم).

(1) المائدة: 13.
(2) المائدة: 41.
(3) الأنعام: 91.

وبعد عصر الصحابة جاء التابعون، وفيه اتسع النقل عن اهل الكتاب، ونمت رواية الاسرائيليات في التفسير والحديث نموا مزعجا، وكان مرجع ذلك إلى كثرة من دخل من اهل الكتاب في الاسلام، وشدة ميل نفوس القوم لسماع ما في كتبهم من اعاجيب، حتى وجد في هذا العهد جماعة من المفسرين، ارادوا ان يسدوا ما يرونه عن ثغرات قائمة في التفسير، بما وصل اليهم من الاسرائيليات، فجاء ما روي عنهم في التفسير بقصص كلها سخف وحقارة، لا يقرها عقل ولا شرع الله.

ثم جاء بعد عصر التابعين من عظم شغفة بالاسرائيليات، او افراط في الاخذ منها، إلى درجة جعلتهم لا يردون قولاً ولا يحجمون عن رأي، يلصقوا بالقرآن كل ما يروى لهم، وإن كان لا يتصوره عقل، واستمر هذا الشغف في الاسرائيليات والولع بنقل الاخبار، التي يعتبر كثيراً منها نوعاً من الخرافة، والذين شحنوا التفسير والحديث بالاسرائيليات في هذه المرحلة، أكثرهم عن القصاص الذين كانوا يجلسون إلى العامة في المساجد وغيرها، يستميلون قلوبهم بما يروونه من أعاجيب تستهويهم.

وعندما بدأ تدوين الحديث في القرن الثاني الهجري، كان التفسير بابا من ابوابه، ثم انفصل التفسير عن الحديث في القرن الثالث الهجري، فقام ابن جرير المتوفى سنة (315) بتدوين تفسيره، وقد حوى كثير من الخرافات والاباطيل التي كان يرويها القصاصون في عصره، والتي نقلنا

بعضها، ثم جاء بعده ابن كثير والقرطبي والبغوي والخازن والثعلبي، التي حوت تفاسيرهم أيضاً كثير من الاسرائيليات.

وقد عرض العلامة ابن خلدون في مقدمته سبب دخول الاسرائيليات في التفسير وتطوره، وبين الاسباب التي دعت إلى الإكثار من ذكرها، فقال رحمة الله: (وقد جمع المتقدمون في ذلك -عني تفسير الثعلبي- وأكثروا، إلا أن كتبهم ومنقولاتهم تشتمل على الغث والسمين والمقبول والمردود، والسبب في ذلك أن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم، وانما غلبت عليهم البداوة والأمية، وإذا تشوقوا إلى معرفة شيء مما تتشوق إليه النفوس البشرية في المكونات وبدء الخليقة واسرار الوجود، فانما يسألون عنه اهل الكتاب قبلهم ويستفيدونه منهم، وهم اهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى وأهل الكتاب.

الخاتمة

وفي الختام فقد رأينا أنّ كتب التفسير بالمأثور قد حوت من الاسرائيليات العجب العجاب مما لا يقبله عقل سليم، على تفاوت بينها في ذلك قلة وكثرة، وهي تشكل خطراً على عقول المسلمين وعقائدهم، وأن بعض هذه الكتب قد نالت ونال مؤلفوها شهرة علمية واسعة كابن جرير والطبري وابن كثير، وقد يرى تصديق هذه الاسرائيليات والأخذ بها من ليس له دراسة بالنظر والنقد في علم التفسير وعلم الحديث، رواية ودراية.

كما وجد ما فيها مادة خصبة يتخذ منها أعداء الإسلام ومن مشى في ركابهم من المنافقين مادة خصبة للطعن في الإسلام بوجه عام وعلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺبوجه خاص وحجتهم؛ أن هذه رواية ابن جرير العالم الجليل العالم الفذ ورواية ابن كثير المفسر والمحدث الذي يعتبر حجة في ذلك.

إن كتب التفسير بالمأثور وخاصة تفسير ابن جرير والقرطبي وابن كثير قد أحسن المسلمون الظن بها، فتلقوا بالقبول كل ما فيها، وبعضها يفسد عقائدهم ويشوش أفكارهم، وعذرهم في ذلك؛ أنها لا زالت تدرس إلى اليوم في كليات الأزهر الدينية وغيرها من الجامعات الإسلامية المنتشرة في العالم الإسلامي، وأن أحداً من المسلمين لم ينبه على أنها حوت أباطيل وأضاليل اسرائيلية وكل ما نبّه العلماء عليه وحذروا منه تفاسير

معدودة كتفسير الخازن، وتفسير مقاتل بن سليمان وتفسير ابن اسحاق الثعالبي وتفسير البغوي التي حوت كثيراً من الاسرائيليات.

واني أرى من واجب علماء المسلمين في الجامعات الإسلامية أن يجردوا كتب التفسير وكتب الحديث وكتب السيرة والتاريخ أيضاً من هذه الاسرائيليات والأباطيل والخرافات التي تنافي العقيدة الإسلامية وتاريخها.

وخير طريق لهذا أن يكون لرسائل الماجستير وأطروحات الدكتوراه دور في تنقية بعض أجزاء من هذه الكتب، وأن تقوم الجامعات بطباعة هذه الرسائل على نفقتها الخاصة ليعم النفع بها والله الهادي إلى سبيل الرشاد إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الإهداء.....	
لا تعتذري.....	
جرح الذكريات.....	
تبكي العين.....	
أحلامي.....	
إحذري.....	
من عيناي.....	
على خطاك.....	
ربي يشهد.....	
لأجلك مولاتي.....	
خاين.....	
أنا السبب.....	
أضيع.....	
أنا والأحزان.....	
ماالذي أبكاكِ.....	
يتيم.....	

مجروح.....	
أوجاع.....	
أشكرك.....	
في عيناك.....	
كلام غير مألوف.....	
لن أقول.....	
على تراب هواك.....	
الرحيل.....	
مظلوم.....	
لسان ناطق.....	
أمي مدينة السلام.....	
صباح الخير مساء الخير.....	
قتلوك طفلاً.....	
الطفل السعيد.....	
ياحبيبي.....	
أرى حتفي.....	
أين أرحل.....	
إسمعيني.....	
غلطتي أنا.....	

لعيونك فلسطين.....	
الوفاء والإخلاص (إزدهار)	
أيها العاشق.....	

السيرة الذاتية

المعلومات الشخصية:

الأسم: " محمد رامز " عبد الفتاح مصطفى العزيزي.

مكان و تاريخ الولادة: عمان – الأردن 1932م.

العنوان: المملكة الأردنية الهاشمية – عمان.

رقم التليفون:5050474 عمان.

الديانة : مسلم.

الجنسية:أردني.

المؤهلات العلمية:

1-شهادة التخصص الديني في علوم التربية الإسلامية-1952، معهد العلوم الإسلامية عمان – الأردن.

2- الشهادة العالية من كلية الشريعة (ليسانس شريعة) / 1956م، كلية الشريعة – جامعة الأزهر.

3- دراسة سنة في التربية و أساليب تدريس مادتي التربية الأسلامية و اللغة العربية 1957م، كلية اللغة العربية – جامعة الأزهر/ القاهرة.

4- ماجستير في الفقة المقارن، تقدير جيد جداً 1982م/ كلية الشريعة و القانون – جامعة الأزهر / القاهرة.موضوع الرسالة: محمد بن علي بن دقيق العيد و أثره في الفقه.

5- دكتوراه في الفقه المقارن برتبة الشريف 1998م/ كلية الشريعة و القانون – جامعه الأزهر / القاهرة. موضوع الرسالة: نشاط البنك الأسلامي الأردني للتنمية و الاستثمار و بيان حكمة في الشريعة الإسلامية.

الخبرات التربوية :

1- معلم لمادة التربية الأسلامية – وزارة التربية و التعليم – الأردن 1975م-1663م.

2- منتدب لتدريس التربية الأسلامية وأساليب تدريسها – معهد المعلمين بالمدينة المنورة – المملكة العربية السعودية 1963م-1966م.

3- معلم لمادة التربية الأسلامية – وزارة التربية و التعليم – الأردن 1966م-1968م.

4-منتدب للتدريس في الجامعة الأسلامية – المدينة المنورة – السعودية 1968م-1971م.

5- مشرف تربوي لمادة التربية الأسلامية بوزارة التربية و التعليم – الأردن 1972م-1982م.

6- الإشراف على برامج التربية العملية بالجامعة الأردنية 1980م-1981م.

7- رئيس قسم الإشراف التربوي – وزارة التربية و التعليم –عمان – الأردن.

8-عضو مبحث التربي الأسلامية – مديرة المناهج و التقنيات التعلمية – وزارة التربية و التعليم الأردن 1986م-1988م.

9-رئيس قسم المتابعة و التطوير التربوي – وزارة التربية و التعليم – الأردن 1988م.

10-التدريس في الكلية الجامعة المتوسطة – عمان الأردن 1988م-1989م.

11-التدريس في كلية تأهيل المعلمين (انضمت لاحقا للجامعة الأردنية) – عمان 1990م – 1991م.

12- مدرس غير متفرغ – جامعة البلقاء التطبيقية – الأردن 1999م -2000م.

الدورات التدريبية:

1- قيادة الدورات التدريبية لمادة التربية الأسلامية و أساليب تدريسها (مع التدريس) لمعلمي مادة التربية الأسلامية – وزارة التربية و التعليم – الأردن 1973م-1985م.

2- المشاركة في الحلقة العربية حول التقويم التربوي و وسائل تطويرة – المركز الإقليمي لتدريب القيادات التربوية بالتعاون مع وزارة التربية والتعليم – الأردن 1985م.

الأبحاث و المؤلفات:

1- كتاب تقي الدين محمد بن علي بن دقيق العيد (عصره ، حياته ، علومه و أثره في الفقه) – دار البشير للطباعة و النشر 1990م.

2-بعض المخالفات الشرعية في استثمارات البنك الأسلامي و الحلول االشرعية لهذه المعاملات 2000م.

3-المسجد الأقصى في الأسلام و شروط الزوال دولة اليهود المزعومة كما وردة في القرآن الكريم – دار الجيل العربي و دار عمار – عمان 2001م. الطبعة الثانية عام 2003م.

4- الميراث و الوصية و وصية القانون و البديل الشرعي لها ، (الطبعة الأولى) – دار جهينة، 2003م، (الطبعة الثانية) و هي مزيد و منقحة – دار الفرقان للنشر و التوزيع،2004م.

5- بيان حكم الشرعي في الفوائد المصرفية مع الرد عليها – دار الرازي للطباعة و النشر و التوزيع.

6- مبادئ النظام الأقتصادي في الأسلام و مميزاتة – فقة المقارن – دار جهينة للنشر و التوزيع،2003م.

7- تحريم الربا في الأسلام و في الديانتين اليهودية و المسحية – فقة المقارن – ، دار الفرقان للنشر و التوزيع ،2004م.

8- بيان الحكم الشرعي للبيع بلتقسيط مع الزيادة في ثمن السلعة بسبب الأجل – فقه المقارن – دار ابن جوزي – عمان،2004م.

9- هم الأرهابيون كما أمرهم الله و لكنهم شهداء و أحياء إن صدقوا النية مع الله، مع بيان الحكم الشرعي في موالاة المسلمين لغير المسلمين. الطبعة الأولى سنة 2002م، الطبعة الثانية 2003م.

10-بيان الحكم الشرعي للتأمين التجاري مع البديل الشرعي لهذا التأمين، دار الفرقان للنشر و التوزيع، 2003م.

11- الحكم الشرعي للاستثمارات و الخدمات المصرفية التي التقوم بها البنوك الإسلامية –فقة المقارن – دار الفرقان للنشر و التوزيع،2004م.

12-الحكم الشرعي " لبيع المرابحة للآمر بالشراء " مع بيان حكم الالتزام بالوفاء بالوعد و أكل الربا عن طريق الحيل الربوية- دار الفرقان لنشر و التوزيع،2004م.

13-عدة أبحاث متفرقة نشرت في رسالة المعلم (وزارة التربية و التعليم/ الأردن) و مجلة الشريعة الأسلامية، و مجلة الأقتصاد المعاصر ، ومجلة وزارة الأوقاف و المقدسات الإسلامية.

إصدارات الدكتور محمد رامز عبد الفتاح العزيزي

و تطلب من المؤلف الأردن–عمان–

00927903204450-00962787186630-0096265050474

الرقم	اسم الكتاب	الموضوع	سنة الإصدار	عدد الصفحات
1	البدر المنير في سيرة سيد المرسلين	سيرة نبوية	2015	336
2	المسيح في القرآن الكريم و الرد على افتراءات بابا الفاتيكان على الأسلام و على رسول الله (طبعة الثانية)	عقيدة	2011	332
3	عجالة تربوية في أساليب التدريس العامه مع إرشادات في وضع الأسئلة وبيان أساليب تدريس التربية الأسلاميةو مذكرة في علم التجويد	تربية	2011	190
4	مجزرة غزة و ثائق تاريخية وتحليلات سياسية و تقارير طبية	تاريخي	2010	248
5	تاريخخ المسجد الأقصى و تاريخ فساد اليهود وزوال كيانهم	تاريخي	2008	140
6	تحريم الربـــا في القرآن الكريم و السنة النبوية	اقتصاد	2001	317
7	مشروع إنشاء بنك إسلامي لا يقـــــوم على حيـــل الربوية	اقتصاد	2008	322

	و المخالفات الشرعية			
8	حجية السنة النبوية في التشريع الأسلامي بالأشتراك مع الأستاذ المشارك الدكتورة جميلة الرفاعي	علو الحديث	2006	96
9	حقوق المرأة في الأسلامي بالأشتراك مع الأستاذ المشارك الدكتورة جميلة الرفاعي	ديني	2006	456
10	أصول الفقة في ثوبة الجـــــديد ومصادر التشريع في الفقة الأسلامي الجزء الأول بالإشتراك مع الأستاذ المشارك الدكتورة جميلة الرفاعي	اصول الفقة	2008	431
11	المسيح عيسى ابن مريم في القرآن الكريم مع الرد على افتراءات البابا على الأسلام و على رسول الله صلى الله علية و سلم (طبعة الأولى)	ديني	2007	287
12	تفسير معنى الإستعاذة و البسملة و تفسير الفاتحة و سورة الفتح	اقتصاد	2006	144
13	بيان حكم الشرعي للتأمين التجاري	اقتصاد	2003	46
14	بيان حكم الشرعي لبيع المرابحة للآمر بالشراء	اقتصاد	2005	140

15	البيع بلتقسيط مع زيادة في الثمن السلعة بسبب الأجل	اقتصاد	2005	96
16	تحريم الربا في الأسلام و الديانتين المسيحية و اليهودية	اقتصاد	2004	300
17	الحكم الشـــرعي للاستثمارات و الخدمات المصرفية التي تقوم بها البنوك الإسلامية	اقتصاد	2004	614
18	مبادئ النظام الإقتصادي في الأسلام و مميزاتة	اقتصاد	2003	177
19	بيان حكم الشرعي في الفوائد المصرفية و الرد على جميع المبررات التي قبلت لتبرير التعامل بالربا	اقتصاد	2003	132
20	أحكام المواريث و الوصية الشرعية الاسلامية	ديني	2004	145
21	هم إرهابيون كما أمرهم الله مع بيان حكم موالاة المسلمين لغير المسلمين و قصـــيدة القصيبي (الشهداء)	ديني	2003	40
22	المسجد الأقصى في الأســـلام و شروط زوال دولة اليهود المزعومة كما ورد في القرآن الكريم	ديني تاريخي	2002	72
23	بعض مخالفات الشرعية في استثمارات البنك الأســـلامي و الحلول الشرعية لهذه المعاملات	اقتصاد	2000	164
24	تقي الدين محمد بن علي بن دقيق العيد و أثره في الفقه و الحديث	فقه مقارن	1990	230